الوليد بن عقبة بن أبى مُعَيْط
(حياته – ولايته الكوفة)
(ما قبل ٨ هـ - ٦١هـ / ٦٢٩م – ٦٨٢م)

إعداد الدكتور
أحمد عبد اللطيف حنفى محمد
مدرس التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية
بكلية الآداب – جامعة حلوان

الوليد بن عقبة بن أبى مُعَيط
(حياته – ولايته الكوفة)

تمهيد:-

نحن بصدد معالجة أحداث ذات وضعية خاصة نبعت من ظروف العصر المعنى بالدراسة، عصر الخلافة الراشدة (١١-٤١هـ / ٦٣٢-٦٦١م). ذلك العصر الذى هو امتداد طبيعى لعصر النبوة المطهرة، حيث الذروة فى فهم وتطبيق قضايا الدين فهماً مثالياً اقتداءً برسول الله ﷺ . ويكفى مثلاً أن نعرف أن غالبية أفراد المجتمع الإسلامى – حكاماً ومحكومين – كانوا يجتهدون حينذاك فى أخذ مندوبات الإسلام ومستحباته (وهى أمور يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها) على أنها فروض واجب اتباعها والعمل بها فى كافة شئون حياتهم، وإلا سيأثمون.

وقد أفرزت هذه النظرة حساسية شديدة فيما يتعلق بالعلاقة بين الحاكم والرعية، أو ما يمكن تسميته بتليسكوب حاد الانعكاس كان مسلطاً على تصرفات الحاكم لمعرفة مدى تطابقها مع مرادات الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ . وليس أدل على ذلك من قول أول الخلفاء الراشدين أبى بكر الصديق ﷺ (ربيع أول ١١هـ – جماد آخر ١٣هـ / يونية ٦٣٢م – أغسطس ٦٣٤م) فور توليته: "يا أيها الناس، إنما أنا مثلكم ... وإنما أنا متبع ولست بمبتدع. فإن استقمت فتابعونى، وإن زغت فقومونى"[(١)]. كما أن سياسته فى الحكم، وأعمال خلفه الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ (جماد آخر ١٣هـ – ذى الحجة ٢٣هـ /

(١) ابن هشام:- السيرة النبوية، تحقيق د. محمد فهمى السرجانى، مطبوعات المكتبة التجارية بالقاهرة جـ ٤، ص ١٧٧؛ الطبرى:- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، سلسلة ذخائر العرب (عدد ٣٠) مطبوعات دار المعارف بمصر، ط٤، جـ٣، ص ٢٢٤.

أغسطس ٦٣٤م – نوفمبر ٦٤٤م) قد عدت تجسيداً لهذا المفهوم، بحيث أصبح الاقتداء بأعمالهما من الشروط الملزمة لمن جاء بعدهما فى الحكم، وذلك إلى جانب العمل بالكتاب والسنة[١].

وبالنسبة للخليفة الراشد الثالث ذى النورين عثمان بن عفان ﷺ (أول المحرم ٢٤هـ – ذى الحجة ٣٥هـ / نوفمبر ٦٤٤م – يونية ٦٥٦م) فإن قاعدة الحساب بين الحاكم والرعية قد تأثرت كثيراً باختلاف طريقته فى الحكم من حيث انتهاجه نهجاً ليناً فى التعامل مع الرعية بعكس تشدد سلفه عمر بن الخطاب، فضلاً عن اتساع دائرة الإسلام لتشمل أناساً جدداً لم يكونوا بعد قد قبلوا الدين عن فهم وعمق. فأدى ذلك إلى أن أموراً طبيعية عدت أخطاء جسيمة وكانت الشغل الشاغل لطائفة معينة من أفراد المجتمع الإسلامى، بحيث نجحوا من خلالها فى الطعن فى كفاءة الخليفة عثمان بن عفان، وانتهى الأمر بمقتله شهيداً على أيديهم، فيما عرف ببدايات الفتنة الكبرى[٢].

ويليق بنا قبل الخوض فى ذكر نماذج التهم (خاصة ما يتعلق منها بموضوع البحث) أن نُعرِّف بهوية من لاكت ألسنتهم بها، والذين ذكرت كتب التاريخ أن أعدادهم قد قاربت الألف وثمانمائة رجل[٣]. كما وضح من استعراض أسماء قادتهم أن العنصر اليمنى كان

---

(١) الطبرى:- تاريخ الرسل، جـ ٤، ص ٢٣٣. ولاحظ الشرط الذى اشترطه عبد الرحمن بن عوف متولى كبر مجلس الشورى عشية مصرع الخليفة عمر بن الخطاب، على كل من عثمان بن عفان وعلى ابن أبى طالب، كى يتولى أيهما الحكم.

(٢) انظر فى ذلك:- د. طه حسين:- الفتنة الكبرى، عثمان (الكتاب الرابع من إسلاميات طه حسين)، مطبوعات دار العلم للملايين ببيروت، لبنان، ط ٤ سنة ١٩٨٤، ص ٦٦٢ حيث يقول ما نصه: "وأن غير عثمان لو ولى خلافة المسلمين فى تلك الظروف التى ولى فيها عثمان لتعرض لمثل ما تعرض له من ضروب المحن والفتن، ومن اختصام الناس حوله واقتتالهم بعد ذلك فيه".

(٣) يلاحظ قدومهم المدينة المنورة على هيئة وفود ثلاث من مصر والبصرة والكوفة. وقد اعتمدنا رقم (٦٠٠) فرد لكل إقليم، كمتوسط عام تكرر عند إحصاء عدد أفراد كل وفد. انظر:- ابن شبة:- تاريخ المدينة المنورة، تحقيق فهيم محمد شلتوت، مطبوعات مكة المكرمة، سنة ١٩٧٩، جـ ٣، ص ١١١٦ و ١١٤٠-١١٤١؛ البلاذرى:- أنساب الأشراف، جـ ٥ تحقيق س. د. ف. جوايتين، مطبوعات الجامعة العبرية سنة ١٩٣٦، ص ٣٩ و ٤٣ و ٥٩ و ٧٢؛ الطبرى:- تاريخ الرسل، جـ ٤، ص ٣٤٨-٣٤٩؛ ابن الأثير:- الكامل فى التاريخ، تحقيق أبى الفداء عبد الله القاضى، منشورات دار الكتب العلمية ببيروت، لبنان، ط ١ سنة ١٩٨٧، جـ ٣، ص ٥٠-٥١؛ ابن كثير:- البداية والنهاية، حققه محمد عبد العزيز النجار، منشورات دار الغد العربى، القاهرة ط ١، سنة ١٩٩١، م ٤ جـ ٧،

غالباً على توجهاتهم[١]. مما يجعلنا نتفق مع التحديد المقترح عنهم من جانب محقق كتاب "العواصم من القواصم"، بأن كان "فيهم الذين غلب عليهم الغلو فى الدين فأكبروا الهنات وارتكبوا فى إنكارها الموبقات. وفيهم الذين ينزعون إلى عصبية يمنية على شيوخ الصحابة من قريش ... وفيهم الموتورون من حدود شرعية أقيمت على بعض ذويهم ... وفيهم الحمقى ... وفيهم من كفر معروف عثمان عندما طمع منه بما لا يستحقه من الرئاسة ... وفيهم من أصابهم من عثمان شيء من التعزير لبوادر بدرت منهم تخالف أدب الإسلام ... وفيهم المتعجلون بالرياسة قبل أن يتأهلوا لها"[٢]. بمعنى أنهم كانوا هيئات سبعة تشكل من مجموعها هذا العدد السابق الذكر، إلى جانب إجماع الروايات على إثبات دور الهيئة الثامنة الأكثر خطورة والمتمثلة فى عبد الله بن سبأ اليهودى من أهل صنعاء الذى أسلم فى عهد عثمان ويعد القاتل الحقيقى له بما روجه من أفكار مغالية غير مسبوقة فى الدين ومدعومة بمنهجه الملتوى القائم على التأويل الفاسد لآيات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. ويكفى مثلاً الاستدلال بقوله عن مبدأ الرجعة استناداً

ص ٢٢٤ و ٢٢٨-٢٢٩. ولاحظ أن اليعقوبى (تاريخ اليعقوبى، طبعة دار صادر ببيروت، جـ ٢، ص ١٧٤-١٧٦) لم يحدد أعدادهم. بينما ذكرهم صاحب كتاب الإمامة والسياسة (تحقيق د. طه محمد الزينى، منشورات مؤسسة الحلبى، جـ ١، ص ٣٩-٤٠) بطريقة مضطربة؛ فهو مثلاً يذكر أن وفد أهل مصر كانوا سبعمائة (ص ٣٩) ثم عاد وذكر (ص ٤٠) أنهم كانوا أربعمائة. وحدد المسعودى (مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، مطبوعات المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة، ط٤ سنة ١٩٦٤، جـ ٢، ص ٣٥٢) أن عددهم كان تسعمائة بواقع ٢٠٠ من الكوفة و ١٠٠ من البصرة و ٦٠٠ من مصر.

(١) لاحظ مثلاً أن العنصر اليمنى كان غالباً على قيادات وفد مصر، ثم وفد الكوفة، وأقلهم كان فى وفد البصرة. مما أثر فى فعالية أفراد الوفد المصرى الذين كانوا أنشط المتآمرين ضد الخليفة عثمان، تلاهم وفد الكوفة. انظر القائمة بأسمائهم وعناصرهم فى المصادر السابقة والصفحات. وقارن ملاحظة أخرى مهمة عن طريقة أصحاب هذه المصادر فى التدوين لهذا الحدث ومدلولات ذلك، عند:- د. عدنان محمد ملحم:- المؤرخون العرب والفتنة الكبرى (القرن الأول – القرن الرابع الهجرى) دراسة تاريخية منهجية، مطبوعات دار الطليعة ببيروت، لبنان، ط ٢ سنة ٢٠٠١م، ص ١٥٠.

(٢) أبو بكر بن العربى:- العواصم من القواصم (فى تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم) حققه وعلق على حواشيه محب الدين الخطيب، مطبوعات الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض، (رقم ٤٠) المملكة العربية السعودية، سنة ١٩٨٤م، هامش تحقيق رقم ١، ص ٥٨.

لتأويله الفاسد لآية رقم ٨٥ من سورة القصص، وكذا قوله بمبدأ الوصاية استناداً لتأويله الفاسد كذلك لحادثة غدير خُمْ[١].

أما التهم الموجهة للخليفة عثمان[٢]، فسنقتصر فى الحديث على تهمة اصطفائه أقاربه من بنى أمية بالوظائف والأموال والنفوذ والسلطان، ليس فقط لصلتها المباشرة بموضوع البحث، بل لأنها "تمس حقوق الناس ومصالحهم وحرياتهم. فكان هذا مصدراً لشر عظيم" حسب تعبير د. طه حسين الذى أوجز ما قيل فى هذا الشأن بتلك العبارة:- "وقد نقم المسلمون من عثمان سياسته فى الإدارة وسيرته فى التولية والعزل، فقالوا إنه ولى أمور المسلمين جماعة من الأحداث لا يصلحون لها ولا يقدرون عليها ولا ينصحون للدين ولا يخلصون لله ورسوله. وعزل أصحاب النبى عن الأمصار. ولم يسمع لوصية عمر، فحمل

---

(١) أورد سيف بن عمر (الفتنة ووقعة الجمل، تحقيق أحمد راتب حرموش، مطبوعات دار النفائس ببيروت، ط ١ سنة ١٣٩١هـ ص ٤٨-٤٩) ترجمة مختصرة عن ابن سبأ وأصله، ثم أسهب فى شرح مخططه التنفيذى فى الطعن على الخليفة عثمان بن عفان وولاته. وعنه أخذ الطبرى (تاريخ الرسل، جـ ٤، ص ٣٤٠-٣٤١)، ومن تلاه، مثل:- ابن الأثير:- الكامل فى التاريخ، جـ ٣، ص ٤٦. ولاحظ النقاش الدائر حول نفى أو إثبات دور ابن سبأ، والذى أنهاه الدكتور عدنان ملحم (المؤرخون العرب والفتنة الكبرى، ص ٢٣٠-٢٤٤) قائلاً:- "إن اسم عبد الله بن سبأ ولفظة السبئية حقيقتان أكدت عليهما مختلف المصادر بأشكال شتى". وانظر كذلك:- د. أكرم ضياء العمرى:- عصر الخلافة الراشدة (محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق مناهج المحَدِّثين) مطبوعات مكتبة العبيكان بالرياض، ط ٣، سنة ٢٠٠١م، ص ٦٢-٦٣ حيث يقول ما نصه:- "وقد دار جدل طويل حول شخصية ابن سبأ التاريخية، ولكن تنوع مصادر الأخبار من سنية وشيعية يجعل من الصعب القبول بنفى الوجود التاريخى له".

(٢) اختلف المؤرخون فى طريقة تناولهم لهذه التهم:- فقد حصرها أبو بكر بن العربى (العواصم من القواصم، ص ٦١-١١٠) فى ثمانى عشرة تهمة وراح يفندها بعد ذلك كل على حدة. بينما اقتصر البلاذرى (أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٢٥ وما بعدها) على أهمها فى نظره، والتى منها إيذاء عثمان لكبار الصحابة وتعيينه أقاربه، بل استغرق الصفحات الطوال فى عرض التهمة الواحدة مثل وجود الوليد بن عقبة بالكوفة (ص ٢٩-٣٦). ومر صاحب الإمامة والسياسة (جـ ١، ص ٣٥) سريعاً على هذه التهم دونما تضخيم. وحاول الدكتور طه حسين (الفتنة الكبرى، عثمان، ص ٧٩٠-٨٠٩) تقسيم التهم إلى دينية يمكن مغفرتها للخليفة عثمان، وأخرى ذات طابع سياسى أو اقتصادى أو اجتماعى لا يمكن مغفرتها وخاصة تعيينه أقاربه. بينما حرص د. عدنان ملحم (المؤرخون العرب والفتنة الكبرى، ص ٩٧-١٢٢) على دراسة وجهة نظر أصحاب الروايات التاريخية القديمة فى عرض التهم وهوية كل واحد منهم.

بنى أبى مُعَيْط وبنى أمية على رقاب الناس. وقد عوتب فى ذلك فلم يُعْتَب، حتى ظهر فسق عماله وانحرافهم عن الجادة، فلم يعزل أحداً منهم إلا مضطراً"[١].

ورغبةً فى مناقشة هذه المقولة بشكل موضوعى حتى يتضح صدقها أم مجانبتها للصواب، نعرض مباشرةً لموضوع البحث، باعتبار أن الوليد بن عقبة بن أبى مُعَيْط بولايته الكوفة للخليفة عثمان بدلاً من الصحابى المشهور سعد بن أبى وقاص هو المعنى بأن الخليفة عثمان قد حمل بنى أبى معيط على رقاب الناس:

تعريف به ونبدأ بالتعريف به، حيث هو الوليد بن عقبة بن أبى مُعَيْط أبان ابن أبى عمرو ذكوان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، القرشى الأموى. وهو أخو عثمان بن عفان لأمه، أمها أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس وأمها البيضاء أم حكيم ابنة عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ . يكنى أبا وهب. أسلم وأخواه عمارة وخالد عند فتح مكة (رمضان ٨هـ/ يناير ٦٣٠م) فهم من الطلقاء[٢].

---

(١) الفتنة الكبرى (عثمان)، ص ٨٠٠. وانظر مثلاً آخراً لذلك ما قاله يوليوس فلهوزن:- (الدولة العربية، تاريخها من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ترجمة د. محمد عبد الهادى أبو ريدة، القاهرة ١٩٥٧، ص ٤٤) فى هذا الأمر:- "إن عثمان جرى على اختيار الأمراء والعمال من آل بيته، وبدا كأنما قد تحولت الدولة من كل الوجوه، مأكلة لطائفة ممتازة لها أن تجنى خيرات الأمصار".

(٢) ابن السائب الكلبى:- جمهرة النسب، تحقيق د. ناجى حسن، مطبوعات عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية ببيروت، ط١ سنة ١٩٨٦، ص ٥٢؛ ابن سعد:- الطبقات الكبرى، منشورات دار التحرير بالقاهرة سنة ١٩٦٨، جـ ٦، ص ١٥؛ خليفة بن خياط:- كتاب الطبقات حققه وقدم له د. أكرم ضياء العمرى، مطبوعات جامعة بغداد، ط١ سنة ١٩٦٧، ص ١١؛ ابن قتيبة الدينورى:- المعارف، تحقيق د. ثروت عكاشة، طبعة دار المعارف بمصر (سلسلة ذخائر العرب، رقم ٤٤) القاهرة ١٩٨١، ص ٣١٨-٣٢٠؛ ابن عبد البر:- الاستيعاب فى معرفة الأصحاب (على هامش كتاب الإصابة لابن حجر) وفق نصوص الكتابين وحقق أصولها عبد الرءوف سعد، مطبوعات دار الغد العربى بالقاهرة ١٩٩٩م، م٦ ، ص ٣٢٦-٣٢٧، ترجمة رقم ٢٧٤٦؛ ابن حزم:- جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق عبد السلام هارون، مطبوعات دار المعارف بمصر، سنة ١٩٦٢، ص ١١٤-١١٥؛ ابن عساكر:- تاريخ مدينة دمشق، اختصره ابن منظور الإفريقى، جـ ٢٦ تحقيق أحمد راتب حمروش ومحمد ناجى العمر، منشورات دار الفكر بدمشق، ط١ سنة ١٩٨٩، ص ٣٣٥ (عن نسخة الكتاب الخطية لابن عساكر، جـ ١٧ قام على نشرها الشيخ محمد الزرهونى، مطبوعات دار البشير للنشر والتوزيع، ص ٨٦٧)؛ ابن واصل:- تجريد الأغانى للأصفهانى، تحقيق د. طه حسين وإبراهيم الإبيارى، مطبوعات دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٥٥، ق ١ ج ٢، ص ٦٣٩؛ الحافظ المزى:- تهذيب الكمال فى أسماء الرجال، جـ ٣١ حققه وضبط نصه وعلق عليه د. بشار عواد معروف، مطبوعات مؤسسة الرسالة ببيروت، ط١ سنة ١٩٩٢، ص ٥٣-٥٤؛ الذهبى:- سير

ولا نعلم سيرته قبل إسلامه ولا سنة مولده، غير أن أباه عقبة بن أبى مُعَيْط اشتهر بعدائه الشديد للإسلام ولشخص الرسول ﷺ، بحيث لما أسر فى غزوة بدر أمر الرسول بضرب عنقه كمجرم حرب وليس كأسير، هو والنضر بن الحارث[١]. ويبدو أن الوليد تأثر كثيراً من جراء شدة عداء أبيه للإسلام وللرسول؛ إذ تعرضت سيرته للإساءة والتشويه فى أكثر من موقف (كان بعضها موجهاً فى حقيقته لأبيه، وبعضها الآخر للعصر الذى عاشه "عصر الخليفة عثمان بن عفان")، وأصبحت جملة "بنى أبى مُعَيْط" تذكر للدلالة على هذا الماضى البغيض. رغم أن العكس هو الصحيح:- استناداً للقاعدة الشرعية أن الإسلام يَجُبُّ ما قبله، وكذا لحسن إسلام غير واحد من أفراد هذا البيت، كما سنرى.

وأول إشارة عنه تفيد حضوره إلى المدينة المنورة بعد غزوة بدر للمشاركة فى فداء ابن عم أبيه الحارث بن أبى وجزة تميم بن أبى عمرو ذكوان بن أمية "فافتداه بأربعة آلاف (درهم)" [٢]. كذلك يذكر عن الوليد ذهابه منفرداً[٣]، وفى باقى الروايات مع أخيه عمارة[٤]، إلى المدينة المنورة مطلع سنة ٧هـ (مايو ٦٢٨م) لإرجاع أخته أم كلثوم بنت عقبة التى أسلمت وهاجرت من مكة إلى المدينة عشية صلح الحديبية (ذى القعدة ٦هـ/ مارس

أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، مطبوعات مؤسسة الرسالة ببيروت، ط ٣ سنة ١٩٨٥، جـ ٣، ص ٤١٢-٤١٣؛ الفاسى المكى:- العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين، تحقيق فؤاد سيد، مطبوعات مؤسسة الرسالة ببيروت، سنة ١٩٨٦، جـ ٧، ص ٣٩٨؛ ابن حجر العسقلانى:- الإصابة فى تمييز الصحابة، مطبوعات دار الغد العربى (وبهامشه كتاب الاستيعاب لابن عبد البر) م ٦، ص ٧١٧، ترجمة رقم ٩١٦٧؛ ولنفس المؤلف:- تهذيب التهذيب، مطبوعات دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١ سنة ١٩٨٤، جـ ١١، ص ١٢٥-١٢٦، ترجمة رقم ٢٤٠؛ وتقريب التهذيب، قابله بأصل مؤلفه محمد عوامة، منشورات دار الرشيد بحلب، سوريا، ط٤ سنة ١٤٠٩هـ، ص ٥٨٣، ترجمة رقم ٧٤٤٢.

(١) ابن هشام:- السيرة النبوية، جـ ٢، ص ١٥٠-١٥١؛ البلاذرى:- أنساب الأشراف، جـ ١ تحقيق د. محمد حميد الله، مطبوعات معهد المخطوطات العربية ودار المعارف بمصر، ص ١٤٧-١٤٨. وراجع:- ابن حجر:- فتح البارى بشرح صحيح البخارى، وثق نصوصه وحقق أصوله طه عبد الرءوف سعد، منشورات دار الغد العربى، القاهرة ١٩٩٤، م ١١، حديث رقم ٣٨٥٤ و ٣٨٥٦، ص ١٨٥ و ١٨٧.

(٢) ابن هشام:- السيرة النبوية، جـ ٢، ص ١٩٢؛ ابن السائب:- جمهرة النسب ص ٥١؛ ابن حزم:- جمهرة أنساب العرب، ص ١١٤؛ ابن حجر:- الإصابة، م ٦، ص ٧١٨.

(٣) ابن شبة:- تاريخ المدينة المنورة، جـ ٢، ص ٤٩٢ (خلال حديث أم كلثوم بنت عقبة عن نفسها).

(٤) عن عمارة بن عقبة انظر:- ابن عبد البر:- الاستيعاب، م٥، ص ١٣٢-١٣٣ ترجمة رقم ١٨٩٦؛ وابن حجر :- الإصابة، م٤، ص ٧٣٣-٧٣٥ ترجمة رقم ٥٧٤٣.

٦٢٨م)، وذلك بموجب بند الصلح الذى يقضى بإلزام الرسول ﷺ أن يرد من جاءه من قريش مسلماً دون إذن وليه. ولكن الرسول ﷺ رفض إعادتها (وغيرها ممن أسلمن وهاجرن إلى المدينة) تنفيذاً لآية قرآنية كريمة نزلت فى هذا الشأن(١). وعاشت أم كلثوم بنت عقبة بعد ذلك فى المدينة وحسن إسلامها وروت أحاديثاً نبوية عن الرسول ﷺ، وتزوجت زيداً بن حارثة قبل استشهاده فى غزوة مؤتة، ثم الزبير بن العوام وأنجبت له بنتاً هى زينب قبل طلاقها منه، فتزوجها عبد الرحمن بن عوف الذى توفى عنها بعد أن أنجب منها ولدين إبراهيم وحميداً، وأخيراً تزوجت عمرو بن العاص وتوفيت عنده. وقد حفظ لها الخليفة عمر بن الخطاب أن كانت من أوائل المسلمات المهاجرات من مكة إلى المدينة، فجعل عطاءها فى بيت المال ألفى درهم. وحسب ملاحظة اليعقوبى كانت أم كلثوم تحصل على الحد الأقصى للعطاء الممنوح للنساء المهاجرات(٢).

الوليد بعد إسلامه والتهم الثلاث

أما الصورة عن الوليد بن عقبة بعد إسلامه فهى قاتمة، وتحوى اتهامه ثلاث مرات بأمور خطيرة. إذ اتهم مرتين بأنه فاسق بشهادة القرآن الكريم فى سورة الحجرات وفى سورة السجدة، والثالثة أنه عاص لتعليمات الرسول ﷺ بالإحسان إلى زوجته مما استوجب دعاء الرسول عليه:-

* وبالنسبة للتهمة الأولى، فقد تواتر فى كتب التفسير أن الوليد بن عقبة عشية إسلامه، انتدبه الرسول ﷺ لمهمة جمع صدقات عرب بنى المصطلق الخزاعيين. غير أنه عاد سريعاً دون إتمام المهمة، وأخبر أنهم ارتدوا وأنه خشى على نفسه أن يقتلوه لعداوة قديمة بينه وبينهم كما صرحت بعض الروايات. فما كان من الرسول ﷺ إلا أن بعث أحداً غيره للتثبت من الأمر، فوجد الأمر عكس ما وصف أولاً، فنزلت الآية الكريمة من سورة

(١) ابن هشام:- السيرة، جـ٣، ص ١٧٦-١٧٧؛ الطبرى:- تاريخ الرسل، جـ٢، ص ٦٤٠؛ ابن عبد البر:- الاستيعاب، م٧، ص ٤٣٨-٤٤٠ ترجمة رقم ٣٦٢٧؛ ابن حجر:- الإصابة، م٨، ص ٨٤٨-٨٤٩، ترجمة رقم ١٢٢٢٧؛ وأشار ابن حجر (فى تقريب التهذيب، ص ٧٥٨ ترجمة ٨٧٦٠) إلى أن أم كلثوم ماتت فى خلافة على بن أبى طالب. والآية الكريمة المشار إليها فى المتن هى رقم (١١) من سورة الممتحنة.

(٢) المصادر السابقة والصفحات. وانظر:- اليعقوبى:- تاريخ اليعقوبى، جـ٢، ص ١٥٣. ولاحظ أن ابن حزم (جمهرة أنساب العرب، ص ١١٥) لا يذكر زواج أم كلثوم من عمرو بن العاص، بل يؤكد أنها لم تتزوج بعد عبد الرحمن بن عوف.

الحجرات: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾[1].

بيد أننا نلاحظ من ناحية أخرى خمسة أدلة تنفى عن الوليد بن عقبة أن يكون هو الفاسق المعنى فى الآية الكريمة. أولها، ما ذكره ابن هشام بشأن التحديد الزمنى لحادثة انتداب الوليد لمهمة جمع صدقات بنى المصطلق، وأن ذلك كان بعد غزوة بنى المصطلق أو المريسيع مباشرة، والتى حدثت فى شهر شعبان سنة ٥هـ أو سنة ٦هـ (يناير ٦٢٧م أو يناير ٦٢٨م) على أكثر تقدير. ولم يكن الوليد بن عقبة قد أسلم بعد؟!! ومن العجيب أن نجد اسم الوليد قد أقحم فى هذه الرواية دونما تبين عن حقيقة إسلامه حينذاك[2]. فهل كان ذلك خطأ من أحد النساخ، أو تعبيراً عن الاتجاه العباسى – وهو وقت تدوين السيرة النبوية – لإدانة رموز البيت الأموى بصفة عامة. إذ من المعروف أن ابن هشام (المتوفى سنة ٢١٣هـ/ ٨٢٨م) قد نسخ هذه السيرة عن أصلها الذى ألفه محمد بن إسحاق (ت ١٥٠هـ/ ٧٦٧م) بناء على طلب الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور.

---

(١) الطبرى:- جامع البيان فى تفسير القرآن، طبعة دار الحديث بالقاهرة ١٩٨٧، م ١١ جـ ٢٦، ص ٧٨-٧٩، ونظام الدين الحسن النيسابورى:- تفسير غريب القرآن ورغائب الفرقان (على هامش تفسير الطبرى)، م ١١ جـ ٢٦، ص ٧٨-٧٩؛ القرطبى:- الجامع لأحكام القرآن الكريم، طبعة دار الريان للتراث، م ٩، ص ٦١٣١ (ولاحظ أنه صرح بوجود عداوة بين الوليد وبنى المصطلق)؛ ابن كثير:- تفسير القرآن العظيم، منشورات مكتبة دار التراث بالقاهرة، م٤، ص ٢٠٨-٢١٠ (والذى أبدى تشككه فى الأمر بعد أن سرد مرويات كثيرة عن أنه الوليد بن عقبة، فقال:- "والله أعلم"). الشيخ إبراهيم الجبالى:- تفسير سورة الحجرات، بمجلة الأزهر عدد شهر صفر سنة ١٤٢٥هـ، ص ٤٩-٥٠. وراجع كذلك: البلاذرى:- أنساب، جـ ٥، ص ٣٥؛ ابن قتيبة:- المعارف، ص ٣١٩، ابن عبد البر:- الاستيعاب، م ٦، ص ٣٢٨-٣٢٩؛ ابن الجوزى:- المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا وآخرين، مطبوعات دار الكتب العلمية ببيروت، ط ١ سنة ١٩٩٢، جـ ٦، ص ٤-٥؛ ابن عساكر:- تاريخ دمشق اختصره ابن منظور، جـ ٢٦، ص ٣٣٨-٣٣٩؛ ابن واصل:- تجريد الأغانى للأصفهانى، ق ١ جـ ٢، ص ٦٤٢-٦٤٣؛ الذهبى:- سير أعلام النبلاء، جـ ٣، ص ٤١٣.

(٢) ابن هشام:- السيرة النبوية، جـ٣، ص ١٥٧-١٥٨؛ ابن سعد:- الطبقات الكبرى، جـ ٢، ص ٤٥؛ ابن عساكر:-تاريخ دمشق، جـ ٢٦، ص ٣٣٧-٣٣٨. وانظر ترجمة الحارث بن أبى ضرار زعيم بنى المصطلق عند:- ابن حجر:- الإصابة، م٢، ص ٣٢-٣٣ ترجمة رقم ١٤٣٠.

ثانى هذه الأدلة، ما ذكره المفسر والمؤرخ ابن جرير الطبرى (عند تفسيره للآية الكريمة) من حديث أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها أنها قالت:- "بعث رسول الله ﷺ رجلاً فى صدقات بنى المصطلق، بعد الوقعة ..." ونلاحظ هنا تأكيداً ثانياً أن الحادثة وقعت بعد غزوة بنى المصطلق مباشرة، كما صرح ابن هشام عن ابن إسحاق، بيد أن الشاهد فى الحديث كلمة (رجلاً) بمعنى أنه لم يرد صراحة اسم الوليد[١].

ثالثها، تلك الدراسة التى قام بها أحد الباحثين فى مجال التفسير وخلص منها إلى "أن الآية تُحمل على العموم؛ إذ العبرة بعموم اللفظ لا خصوص السبب... غاية ما فى الباب أن الآية نزلت فى هذا الوقت فى غير الوليد بن عقبة ﷺ، وبقى حكمها عاماً بعد ذلك يتناول كل فاسق". وذلك بعد نقاش طويل أثبت الباحث من خلاله ضعف معظم أسانيد ومتون المرويات الحديثية (٩ روايات) التى ذكرها المفسرون بشأن الآية الكريمة من سورة الحجرات[٢]. ويتفق هذا مع ملاحظة العلامة الحافظ ابن حجر عن ضعف السند الخاص بتفسير هذه الآية على هذا النحو؛ إذ أنه بعد أن استعرض الرواية كاملة ورجال السند قال:- "وفى السند من لا يُعرف"[٣].

رابعها، ما ذكره الفقيه أبو بكر بن العربى - عن الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده - من أن الوليد بن عقبة كان صبياً عند فتح مكة، وأنه التف مع بعض الصبية حول الرسول ﷺ الذى مسح على رؤوسهم إلا هو. وأن الوليد ذكر بعد ذلك أن رأسه كان معطراً بدهن

---

(١) الطبرى:- جامع البيان فى تفسير القرآن، م ١١ جـ ٢٦، ص ٧٨.

(٢) منصور حسن أحمد حسن:- الدخيل فى تفسير زاد المسير فى علم التفسير لأبى الفرج بن الجوزى (من أول سورة الشورى إلى آخر سورة الحديد) رسالة ماجستير من قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بأسيوط، جامعة الأزهر، سنة ٢٠٠١م، ص ١٦٤-١٨٠ و ١٩٤-١٩٥. وقد فند الباحث تسع مرويات حديثية. وراجع كذلك:- د. على محمد محمد الصلابى:- عثمان بن عفان رضى الله عنه (شخصيته وعصره) طبعة مكتبة الصحابة بالإمارات ومكتبة التابعين بعين شمس، القاهرة، ط ١ سنة ٢٠٠٢م، صفحات ٢٩٨-٢٩٩ من الفصل الخاص بالوليد بن عقبة.

(٣) ابن حجر:- الإصابة، م ٦ ، ص ٧١٨.

الخلوق، بحيث امتنع الرسولﷺ من مسه. وتساءل ابن العربى قائلاً: "فمن يكون فى مثل هذه السن، يرسل مُصَدِّقاً؟!!" [١].

خامسها، أن الاحتجاج بصغر سن الوليد عند فتح مكة كوسيلة لإسقاط تهمة الفسق عنه، قد لا يصمد أمام تأكيد بعض المُحَدِّثين والمؤرخين أن الوليد عند الفتح "كان قد ناهز الاحتلام" [٢]. وفى رواية أخرى "كان الوليد فى زمن النبى ﷺ رجلاً" [٣]. بل أكدوا أنه من جملة أصحاب النبى ﷺ، وذكر بعضهم روايته لأحاديث نبوية شريفة [٤]. ولهذا ذكروا انتدابه لجمع صدقات بنى المصطلق دون تكملة قصة كذبه وفسقه المزعومة [٥].. بمعنى

---

(١) أبو بكر بن العربى:- العواصم من القواصم، ص ٩٠-٩٢ وهامش تحقيق رقم(١). ص ٩٢-٩٣. وانظر رواية أخرى لهذا الحديث عند:- الحافظ الطبرانى:- المعجم الكبير، تحقيق حمدى عبد المجيد السلفى، مكتبة التوعية الإسلامية بالقاهرة، سنة ١٩٨٣، جـ ٢٢، حديث رقم ٤٠٦، ص ١٥٠-١٥١. وعن معنى الخلوق انظر:- المعجم الوسيط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط٢ سنة ١٩٧٢ (مادة خِلاق وخلوق) ص ٢٥٢.

(٢) ابن عبد البر:- الاستيعاب، م٦، ص ٣٢٧؛ الفاسى المكى:- العقد الثمين، جـ ٧، ص ٣٩٩.

(٣) الطبرانى:- المعجم الكبير، ج ٢٢، ص ١٥٠؛ الفاسى المكى:- العقد الثمين، جـ ٧، ص ٤٠٠ (عن ابن البرقى).

(٤) ابن سعد:- الطبقات الكبرى، جـ ٦، ص ١٥ (باب تسمية من نزل الكوفة من أصحاب رسول الله. واسم الوليد مسلسل رقم ٣٧)؛ خليفة بن خياط:- كتاب الطبقات، ص ١٢٦ (وقد فعل هو الآخر نفس الشىء فأدرج اسم الوليد ضمن صحابة الرسول الذين نزلوا الكوفة)؛ ابن أبى حاتم:- كتاب الجرح والتعديل، طبعة حيدر آباد بالدكن، الهند، ط ١ سنة ١٣٧١هـ ، جـ ٩، ص ٨ ترجمة رقم ٣١؛ الطبرانى:- المصدر والجزء، حديث رقم ٤٠٥، ص ١٥٠؛ ابن عساكر:- تاريخ دمشق، جـ ٢٦، ص ٣٣٦؛ الذهبى:- سير أعلام النبلاء، جـ ٣، ص ٤١٣؛ الحافظ المزى:- تهذيب الكمال، جـ ٣١، ص ٥٣-٥٤؛ ابن حجر:- تهذيب التهذيب، جـ ١١، ص ١٢٦؛ وتقريب التهذيب، ص ٥٨٣. وانظر تجريح الحديث المروى عن الوليد بن عقبة لضعف الرواة الذين أخذوه عنه، وذلك عند:- الحافظ الهيثمى:- بغية الرائد فى تحقيق مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، طبعة دار الفكر بدمشق سنة ١٩٩٢، جـ ١، ص ٤٤١ - ٤٤٢ حديث رقم ٨٧٥ من كتاب العلم، وهامش تحقيق ذات الحديث ص ٤٤١. ويقول فى هذا الشأن ابن عبد البر (الاستيعاب، م ٦، ص ٣٣٤) إن الوليد "لم يرو سُنة يُحتاج فيها إليه". وقد نقلها عنه الفاسى المكى:- العقد الثمين، جـ ٧، ص ٤٠٣.

(٥) الطبرانى:- المصدر والجزء، حديث رقم ٤٠٤، ص ١٥٠؛ ابن عساكر:- تاريخ دمشق، جـ ٢٦، ص ٣٣٦-٣٣٧؛ الحافظ المزى:- تهذيب الكمال، جـ ٣١، ص ٥٤. ولاحظ كذلك ورود هذا الخبر (عن ابن سعد فى طبقاته) عند كل من:- الفاسى المكى:- العقد الثمين، جـ ٧، ص ٣٩٩؛ ابن حجر:- تهذيب التهذيب، جـ ١١، ص ١٢٦.

أنهم يؤكدون أن يكون الرسول ﷺ انتدب الوليد بن عقبة بعد إسلامه (سنة فتح مكة) وهو رجل، لجمع صدقات بنى المصطلق خلال الفترة التى عاشها ﷺ بعد ذلك (يعنى فى إحدى سنوات ٨هـ أو ٩هـ أو ١٠هـ) باعتبار الصدقات تؤدى كل سنة. وأن الوليد قد أدى مهمته فعلاً على أكمل وجه، متعظاً هو وغيره من المسلمين بإخبار القرآن الكريم لهم ولغيرهم عن حادثة الفسق الأليمة التى فعلها قبله أحد المسلمين مع بنى المصطلق عشية الغزوة. ولهذا ليس غريباً أن نجد كلاً من أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأخيراً عثمان بن عفان يختارون الوليد بن عقبة لتولى وظائف ذات شأن فى الدولة، كما سنرى.

* أما عن التهمة الثانية، فقد قيل فى سبب نزول الآية الكريمة رقم ١٨ من سورة السجدة:- ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾ ، إن الوليد بن عقبة وعلى بن أبى طالب ﷺ قد تشاحنا. فقال الوليد:- أنا أحدُّ منك سناناً، وأسلط منك لساناً، وأملأ للكتيبة منك. فقال له علىٌ:- اسكت فإنما أنت فاسق. فغضب الوليد من ذلك وشكى إلى النبى ﷺ بذلك. فنزلت فيه هذه الآية[1].

ونلاحظ كذلك مغالطة فى نسبة الفسق فى الآية الكريمة من سورة السجدة إلى الوليد ابن عقبة لأربعة أسباب، يتمثل الأول فيما سوف نلاحظه عن اعتماد أبى بكر وعمر ثم عثمان عليه، كدليل على تبرئة ساحته أن يكون المعنى بالفسق فى الآيتين الكريمتين إذ من المحال على هذه الكوكبة من كبار صحابة رسول الله ﷺ، وهم الأكثر دراية بالقرآن الكريم وأحكامه وأسباب نزول كل آية فيه، أن يعتمدوا على الوليد بن عقبة دون التأكد من أنه ليس المعنى بتلك التهمة الخطيرة.

---

(١) الطبرى:- جامع البيان فى تفسير القرآن، م ١٠ جـ ٢١، ص ٦٨؛ النيسابورى:- تفسير غرائب القرآن (بهامش تفسير الطبرى) م١٠ جـ ٢١، ص ٧٢؛ القرطبى:- الجامع لأحكام القرآن، م ٨، ص ٥١٨٧؛ الواحدى النيسابورى:- أسباب النزول، طبعة مكتبة المتنبى بالقاهرة وعالم الكتب ببيروت، ص ٢٦٣. وانظر:- ابن قتيبة:- المعارف، ص ٣١٩، وابن أعثم الكوفى:- كتاب الفتوح، طبعة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، حيدر آباد بالدكن، ط ١ سنة ١٩٦٨-١٩٧٥، جـ ٢، ص ٣٥٤-٣٥٥؛ ابن عبد البر:- الاستيعاب، م ٦، ص ٣٢٩؛ ابن عساكر:- تاريخ دمشق، جـ ٢٦، ص ٣٤٠. ولاحظ أن أبا بكر بن العربى (العواصم، ص ٩٠) قد ذكر هذه الحادثة سريعاً داخل سياق حديثه عن آية سورة الحجرات، ولم يذكر شيئاً عن آية سورة السجدة مما جعل محقق الكتاب لا يلتفت إلى المقصود منها.

أما السبب الثانى، فإن إقحام اسم الوليد كطرف فى هذه الملاحاة مع على بن أبى طالب ﷺ يعنى أن هذه الآية الكريمة من سورة السجدة قد نزلت فى المدينة المنورة[١]، استناداً إلى ملازمة على بن أبى طالب ﷺ للرسول ﷺ والذى لم يؤثر عنه سكنى مكة بعد فتحها. بينما لا نعلم عن مسلمة الفتح أو الطلقاء – ومنهم الوليد بن عقبة – أنهم سكنوا المدينة بعد فتح مكة، لانتهاء المفهوم المكانى للهجرة حسب القاعدة الشرعية:- "لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية". وإذا كان الوليد قد سكن المدينة المنورة وعاش فى كنف أخيه عثمان بن عفان، كما صرحت بذلك بعض الروايات[٢]، فإننا نرجح أنه حدث أثناء الفترات التى تخللت توليه الوظائف لكل من أبى بكر ثم عمر بن الخطاب.

وعن السبب الثالث، فإن بعض المفسرين يذكرون صراحة أن سورة السجدة نزلت كلها فى المرحلة المكية، حيث كان الوليد ما يزال صغيراً، ويصرحون كذلك بأن الآية المعنية نزلت فى أبيه عقبة ابن أبى مُعَيْط المعروف بشدة عدائه للإسلام والمسلمين[٣]. كما أن هناك بعض الإشارات عن ضعف الروايات التى صرحت باسم الوليد سنداً و متناً[٤].

ولعلنا أخيراً لا نكون مبالغين فى استشعار هوية شيعية على بعض من أقحموا اسم الوليد بدلاً من أبيه فى هذه التهمة. وها هو ابن أعثم الكوفى يجعل ذلك حلقة أولى فى مسلسل معاداة الوليد لعلى ابن أبى طالب، والذى سوف تتجدد حلقاته (فى زعم ابن أعثم) عند حادثة إقامة الحد على الوليد لشربه الخمر، وأثناء الصراع بين على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان كما سنرى. بل نراه يحرص على تزكية إلصاق تهمة الفسق بالوليد

---

(١) المصادر السابقة والصفحات.

(٢) ابن عبد البر:- الاستيعاب، م٦ ، ص ٣٣٤؛ ابن حجر:- الإصابة، م ٦، ص ٧١٩.

(٣) القرطبى:- الجامع لأحكام القرآن، م٨، ص ٥١٨٧ (رواية الزَّجّاج والنّحاس وابن عطية)؛ ابن كثير:- تفسير القرآن العظيم، م ٣، ص ٤٥٦ (حيث التصريح بأن السورة كلها مكية)، وص ٤٦٢ (حيث التأكيد أن المعنى بلفظة الفاسق هو عقبة بن أبى معيط وليس ابنه الوليد). وانظر كذلك:- ابن عساكر:- تاريخ دمشق، جـ ٢٦، ص ٣٤٠ (عبارة:- "وقيل إنها نزلت فى أبيه")؛ الذهبى:- سير أعلام النبلاء، جـ ٣، ص ٤١٥ (الذى أكد براءة الوليد رغم قوة الإسناد قائلاً:- "قلت:- إسناده قوى، ولكن سياق الآية يدل على أنها فى أهل النار ". ثم استأنف قائلاً:- "وقيل:- بل كان السباب بين على وبين عقبة نفسه").

(٤) الواحدى:- أسباب النزول، ص ٢٦٣. وراجع:- د. أبو عمر نادى بن محمود حسن:- الدخيل من أسباب التنزيل، مطبعة الأمانة بمصر، سنة ١٩٩٩م، ص ٢٦٠-٢٦١.

وشهادة القرآن الكريم على ذلك بترديد أبيات شعرية ذكر أنها من تأليف الشاعر المشهور حسان بن ثابت، بينما هى ليست فى الديوان المطبوع للشاعر حسان، حسبما لاحظ ناشر كتاب الفتوح لابن أعثم. كما أنها أبيات رديئة من حيث الصنعة الشعرية ويغلب عليها سذاجة ليست معروفة فى شعر حسان بن ثابت بل هى امتداد للطابع العام لكل الأشعار التى استشهد بها ابن أعثم فى كتابه. ثم نراه يختم حديثه عن هذه الواقعة قائلاً: "وكان (كذا بالنص) هذه قصة الوليد مع على بن أبى طالب ﷺ. فلم يزل حاقداً عليه إلى ذلك اليوم"(١).

* أما التهمة الثالثة، فقد روى الأصفهانى – ونقل عنه ابن عساكر – أن على بن أبى طالب شهد حضور امرأة الوليد بن عقبة إلى الرسول ﷺ تشتكى من سوء معاملة زوجها لها، وأكد أن الرسول طلب منها أن تعلم الوليد أنه ﷺ قد أجارها. ولكن الأمر تكرر، مما جعل رسول الله يعطيها شيئاً من متعلقاته كدليل مادى على شفاعته فى أمرها. "فلم تلبث إلا يسيراً حتى رجعت فقالت:- ما زادنى إلى ضرباً. فرفع ﷺ يده وقال:- اللهم عليك بالوليد، أثم بى مرتين". وفى رواية:- "اللهم عليك بالوليد مرتين أو ثلاثاً"(٢).

وأول ما نلاحظه على هذه الرواية، الإقحام ذو المردود الشيعى لاسم على بن أبى طالب كشاهد وحيد على ظلم الوليد لنفسه ولزوجه وجحوده مكانة الرسول وشفاعته ﷺ. كما أن الجو العام للحادثة يدل على أن الوليد قد سكن المدينة المنورة، الأمر الذى سبق التأكيد أنه غير صحيح وخاصة فى حياة رسول الله ﷺ. وأخيراً، لم يكن الوليد بن عقبة بهذه الصورة الكريهة مع نسائه؛ إذ كان معه زوجتان بقصر الإمارة بالكوفة (إحداهما تدعى بنت الربيع بن ذى الخمار، والأخرى بنت أبى عقيل)، وقد حزنتا لما أصابه فى الليلة

---

(١) ابن أعثم:- كتاب الفتوح، جـ ٢، ص ٣٥٤-٣٥٥. والأبيات هى:-

أنزل الله والكتاب عزيز ... فى علىٍّ وفى الوليد قرآنا
فتبوأ الوليد من ذاك فسقاً ... وعلياً (صوابها:- وعلىٌّ) مبوأ إيمانا
ليس من كان مؤمناً عرف الله ... كمن كان فاسقاً خوانا
سوف يجزى الوليد خزياً وناراً ... وعلى لا شك يجزى جنانا
فعلى يجزى هناك جنانا ... ووليد يجزى هناك هوانا

(٢) ابن عساكر:- تاريخ دمشق، جـ ٢٦، ص ٣٣٩-٣٤٠؛ ابن واصل:- تجريد الأغانى للأصفهانى، ق ١ جـ ٢، ص ٦٤٣.

المشئومة عندما سُرق خاتم الإمارة من مخدعه أثناء نومه. "فاستيقظ الوليد وامرأتاه عند رأسه، فلم ير خاتمه فسألها عنه". وراحت كل واحدة منهما تصف ما شهدته من وراء الستر، بحيث عرف منهما حقيقة ضيوفه وما يضمرونه من شر[١]. مما سيتضح فى حينه.

لا شك أن رسول الله ﷺ بسياسته التربوية الحكيمة وقاعدته الشرعية التى أرساها "أن الإسلام يجُبُّ ما قبله" قد وفر للدولة الإسلامية الجديدة رجالاً ذوى نفع، قطعوا ما بينهم وبين أصولهم الشركية القديمة وعاشوا أصحاء فى كنف الإسلام. وها هو الوليد قد أزال الغبار الذى كان عالقاً به كونه ابناً لعقبة بن أبى مُعَيْط ووارثاً لعدائه الشديد للإسلام والمسلمين، وذلك بحسن أدائه لمهمة جمع صدقات بنى المصطلق وكان عند ظن رسول الله ﷺ.

وبالنسبة لدور الوليد بن عقبة فى عهد الخليفتين الراشدين أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب فقد تنوعت جهوده ما بين جمع الصدقات امتداداً لدوره فى العهد النبوى، وبين المشاركة فى حركة الفتوح الإسلامية على جبهتى العراق والشام. ويبدو أن الصفة الأولى قد غلبت عليه فى بدايات اعتماد الخليفة الصديق عليه، بحيث أدى ذلك إلى اختفاء دوره أثناء قتال المرتدين؛ إذ من المعروف أن دور جامعى الصدقات يأتى دائماً بعد تمام العمليات العسكرية ونجاحها.

ثم نراه – فى أول إشارة عملية عنه فى عهد الصديق أبى بكر – يقدم إلى المدينة المنورة بعد معركة المذار بجنوب العراق (صفر ١٢هـ/ أبريل ٦٣٣م) مصطحباً خمس الغنائم وحاملاً رسالة من القائد خالد بن الوليد بأخبار انتصاراته على الفرس وحلفائهم عرب العراق[٢]. ثم إن الخليفة الصديق بعد اطلاعه على تطور عمليات القتال الدائر على جبهة العراق، قرر أن ينتدب الوليد لجبهة الشام. يقول ابن كثير عن ذلك:- "ولما قدم الوليد بن عقبة على الصِدِّيق بالخمس رده الصِديقُ إلى عياض بن غَنْم، مدداً له وهو محاصر دومة الجندل"[٣]. ويبدو أن ذلك كان على هامش مسير الوليد لتولى صدقات عرب قضاعة

---

(١) ابن عساكر:- المصدر السابق والجزء، ص ٣٤٤-٣٤٥.

(٢) الطبرى:- تاريخ الرسل والملوك، جـ ٣، ص ٣٥١؛ ابن كثير:- البداية والنهاية، م٣ جـ ٦، ص ٨٩٨. ويلاحظ أن ابن الأثير (الكامل، جـ ٢، حوادث سنة ١٢هـ) لم يذكر أى دور للوليد فى حوادث هذه السنة، رغم أن كتابه فى الأصل يعد اختصاراً شديداً لكتاب الطبرى.

(٣) الطبرى:- تاريخ الرسل، جـ ٣، ص ٣٧٧؛ ابن كثير:- المصدر والجزء، ص ٩٠٥-٩٠٦.

بذات الإقليم؛ إذ لم نجد له دوراً قتالياً فى مساندة القائد عياض الذى تحرج موقفه وقواته إثر تعرضهم لكمين نصبه لهم عرب الغساسنة حلفاء الروم على مقربة من دومة الجندل. فقط اكتفى الوليد بتقديم النصح للقائد عياض بضرورة مكاتبة خالد بن الوليد الموجود فى جبهة العراق وطلب المدد منه، باعتبار أن "الرأى فى بعض الحالات خير من جند كثيف" حسب قول الوليد نفسه[١]. والدليل على أن الوليد إنما كان متجهاً أصلاً للإشراف على صدقات عرب قضاعة المقيمين على مشارف الشام، أن الخليفة أبا بكر الصديق قد جعله شريكاً للصحابى الشهير عمرو بن العاص فى تولى ذات المهمة، "وأوصى كل واحد منهما بوصية واحدة"[٢].

وقد استمر عمرو بن العاص والوليد بن عقبة فى عملهما الجديد بقية سنة ١٢هـ ومطلع التالية (٦٣٣-٦٣٤م)، حتى قرر الخليفة الصديق إسناد مهام قتالية لعمال الصدقات، وإرسالهم مع بقية الجنود مدداً لأصحاب الألوية الأربعة المتجهة للشام، رداً على ازدياد الكثافة العددية لجنود الروم واشتهارهم بتنظيماتهم الحربية العتيدة دفاعاً عن ممتلكاتهم بالشام. وسمى هذا الجيش الجديد "بجيش البُدَّال"[٣]. وبالنسبة لعمرو بن العاص والوليد بن عقبة فقد كتب إليهما الخليفة أبو بكر أن:- "استخلفا على أعمالكما واندبا من يليكما. فولى عمرو على عليا [علياء] قضاعة:- عمرو بن فلان العذرى. وولى

---

(١) المصدران السابقان والصفحات.

(٢) الطبرى:- المصدر والجزء، ص ٣٨٩؛ ابن كثير:- المصدر السابق، م ٤ جـ ٧، ص ٥. وانظر:- ابن الأثير:- الكامل، جـ ٢، ص ٢٥٣ (حيث يذكر الوليد بن عقبة لأول مرة، ويجعل ذلك فى حوادث سنة ١٣هـ) ولاحظ تأكيد د. أكرم العمرى (عصر الخلافة الراشدة، ص ١٥١) أن الوليد بن عقبة كان من عمال الصدقة على عرب قضاعة فى عهد أبى بكر الصديق.

(٣) الطبرى:- جـ ٣، ص ٣٨٩؛ ابن الأثير:- جـ ٢، ص ٢٥٣. ولاحظ أن الدكتور على محمد محمد الصلابى (سيرة أبى بكر الصديق، مطبوعات دار الفجر للتراث بالقاهرة، ط ١ سنة ٢٠٠٣م ص ٣٠١ هامش رقم ٢) قال عن جيش البدال إنه= = الجيش الذى تم تجنيده من جديد تحت إمرة القائد عكرمة بن أبى جهل للمسير إلى الشام نجدة لخالد بن سعيد ابن العاص بدلاً من الجيش السابق الذى كان عكرمة قد سرحه فور عودته إلى المدينة من قتال المرتدين باليمن. مخالفاً بذلك الطبرى وابن الأثير اللذين أكدا أنه الجيش الذى تكون من عمال الصدقات بعد أن أبدلهم الخليفة الصديق مهام قتالية لحرب الروم، وكان منهم عمرو بن العاص والوليد بن عقبة. ومثل هذا الشىء حدث لسعد بن أبى وقاص على جبهة الفرس.

الوليد على ضاحية قضاعة مما يلى دومة [يعنى أسفل دومة الجندل]:- امرأ القيس. وندبا الناس، فتتام إليهما بشر كثير، وانتظرا أمر أبى بكر"(١).

وشهدت الأيام الأولى لمسير الألوية الأربعة إلى الشام (مطلع سنة ١٣هـ/ مارس ٦٣٤م) مفاجأة سارة فى بدايتها، وهى أن الوليد بن عقبة قد جعله الخليفة الصديق أميراً على لواء الأردن وذلك إلى جانب عمرو بن العاص صاحب لواء فلسطين ويزيد بن أبى سفيان صاحب لواء دمشق وأبى عبيدة ابن الجراح صاحب لواء حمص ومركز القيادة العامة فى الجابية(٢). ولكن الموازين اختلت عند تطور عمليات القتال فى جبهة الأردن، إثر تعرض القوة الإسلامية لكمين بيزنطى عند مرج الصُفْر بين الواقوصة ودمشق، وتعجل خالد بن سعيد بن العاص – أحد القادة الفرعيين للقوة هناك – مبادأة الجنود البيزنطيين بالهجوم دون استيعاب للموقف أو التنسيق مع قائده الوليد، مما أدى إلى نجاح البيزنطيين فى اختراق الصفوف وإجبار المقاتلين المسلمين على الفرار. وفعلاً فر الوليد وخالد بن سعيد بن العاص بعد مقتل ابنه(٣).

وقد أدت هذه الأحداث المؤسفة بالخليفة أبى بكر الصديق إلى إصدار قراره بإحلال الصحابى الجليل شرحبيل بن حسنة فى قيادة لواء الأردن بدلاً من الوليد بن عقبة الذى صدر القرار كذلك بمنعه وخالد بن سعيد بن العاص من دخول المدينة المنورة أو المثول أمامه تعزيراً لهما وحتى لا يرسخ فى الأذهان كونهما فارَّيْن من المعارك. واستمرا مقيمين بظواهر المدينة حوالى شهراً توفى خلاله الخليفة الصديق. ولما تولى عمر بن الخطاب الخلافة (جماد آخر ١٣هـ/ أغسطس ٦٣٤م) أذن لهما بالحضور إليه، ربما للتعرف منهما على حقيقة فرارهما أمام البيزنطيين، ثم ردهما إلى الشام وأمرهما بملازمة الجهاد كآحاد الجنود وإثبات مقدرتهما العسكرية تكفيراً عما سبق، قائلاً:- "فانضما إلى أى أمرائنا أحببتما. فلحقا بالناس فأبليا وأغنيا"(٤).

---

(١) الطبرى:- جـ٣، ص ٣٩٠؛ ابن الأثير:- المصدر والصفحة؛ ابن كثير:- البداية والنهاية، م ٤ جـ٧، ص ٥.

(٢) الطبرى:- المصدر والصفحة؛ ابن الأثير:- المصدر والصفحة.

(٣) الطبرى:- جـ ٣، ص ٣٩١؛ ابن الأثير:- جـ ٢، ص ٢٥٤-٢٥٥. وراجع بتفاصيل مختلفة عند:- د. الصلابى:- سيرة أبى بكر الصديق، ص ٣٦١-٣٦٢.

(٤) الطبرى:- ج٣، ص ٤٣٥-٤٣٦؛ ابن الأثير:- ج ٢، ص ٢٥٥. وانظر ترجمة خالد بن سعيد بن العاص الذى اختتم حياته شهيداً فى فتوح الشام بعد ذلك مباشرة، عند:- ابن كثير:- البداية والنهاية، م ٤ ج ٧، ص ٤٥.

ولا شك أنها كانت تجربة قاسية جعلت الوليد وصاحبه يتفانيان فى القتال خلال المعارك الشهيرة التى أدت إلى فتح الشام وفلسطين كأجنادين واليرموك وغيرها، خلال الفترة من ١٣هـ إلى ١٥هـ (٦٣٤-٦٣٦م)، مما جعل الصورة تختلف إلى الأحسن. بحيث أكدت الروايات أنه أصبح من قادة فتح شمال الشام أخريات سنة ١٥هـ ومطلع التالية (٦٣٦-٦٣٧م)، وظهر دور الوليد حينئذٍ كمسئول عن تأمين الخطوط الخلفية لزملائه قادة فتح منطقة الدروب بجبال طوروس الفاصلة بين شمال الشام وآسيا الصغرى أو ما سيعرف بمنطقة الثغور. يقول الطبرى:- "طلع من قبل الكوفة عمر بن مالك من قبل قرقيسيا، وعبد الله بن المُعْتَم من قبل الموصل، والوليد بن عقبة من بلاد بنى تغلب وعرب الجزيرة. وطووا مدائن الجزيرة من نحو هرقل .. إلا أنهم خَلَّفوا فى الجزيرة الوليد لئلا يُؤْتَوْا من خلفهم. فأدرب خالد (بن الوليد) وعياض (بن غَنْم) مما يلى الشام، وأدرب عمر وعبد الله مما يلى الجزيرة، ولم يكونوا أدربوا قبله، ثم رجعوا. فهى أول مُدْرِبة كانت فى الإسلام سنة ست عشرة (٦٣٧م)" [(١)].

وقد توجت جهود الوليد بتعيينه فقط على صدقات عرب الجزيرة، وليس والياً على الإقليم، وذلك حينما أصدر الخليفة عمر بن الخطاب لأبى عبيدة بن الجراح القائد العام لجبهة الشام أن "سرح الوليد بن عقبة على عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ"، بينما تقرر تعيين قائد آخر هو حبيب بن مسلمة على عجم الجزيرة وحربها[(٢)]. فانبرى الوليد لأداء مهمته مستنفراً همم العشائر العربية من تغلب الربيعية وإياد لسداد الالتزامات المقررة عليهم والمساعدة فى تأمين الفتوح الإسلامية "فنهض معه مسلمهم وكافرهم". ولكن عرب إياد عصوا وانسحبوا إلى داخل حدود الروم، فكتب الوليد بذلك إلى الخليفة عمر

---

(١) الطبرى:- جـ ٣، ص ٦٠١-٦٠٢. ويلاحظ أن البلاذرى والواقدى فى كتابيهما عن فتوح البلدان والشام لم يذكرا اسم الوليد بن عقبة ضمن قادة فتح الشام أو منطقة الدروب. وانظر:- الشيخ محمد الخضرى:- محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، مطبوعات دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ص ٢١٨ (حيث جعل الوليد بن عقبة ثالث ثلاثة شاركوا فى فتح إقليم الجزيرة).

(٢) ابن قتيبة:- المعارف، ص ٣١٩؛ الطبرى:- جـ٤، ص ٥١ و ٥٥؛ ابن الأثير:- جـ٢، ص ٣٧٦-٣٧٨. وقارن:- ابن عساكر:- تاريخ دمشق، جـ ٢٦، ص ٣٣٧؛ ابن الجوزى:- المنتظم، جـ ٦، ص ٥؛ الذهبى:- سير أعلام النبلاء، جـ ٣، ص ٤١٤؛ ابن حجر:- تهذيب التهذيب، جـ ١١، ص ١٢٦. ويلاحظ أن:- د. أكرم العمرى (عصر الخلافة الراشدة، ص ١٣٢) قد أكد أن الوليد كان من ولاة عمر بن الخطاب على إقليم الجزيرة.

الذى كتب بدوره كتاباً إلى الإمبراطور البيزنطى هرقل بعدم إيواء أولئك الفارين وإعادتهم إلى موضع سكناهم وإلا سيقوم بترحيل أهل الذمة من نصارى الشام إليه. فردهم هرقل وكانوا أربعة آلاف رجل مع ذويهم(١).

ويمكن القول إن هذا التصرف من جانب عرب إياد جعل الوليد يتشدد فى معاملة نصارى المنطقة بصفة عامة، الأمر الذى رفضه الخليفة عمر وأقره على أخذ الجزية منهم فقط. ولكن نصارى تغلب رفضوا ذلك استناداً لما عندهم من "عز وامتناع". مما كان يعنى توتر العلاقة بينهم وبين الوليد الذى أصر على إخضاعهم لنفوذ الدولة وشرع فى اتخاذ إجراءات أكثر صرامة، كان من الممكن أن تهدد الوجود الإسلامى فى المنطقة. ولهذا جاء قرار الخليفة عمر بعزل الوليد عن منصبه ليحل محله اثنان من القادة هما فرات بن حيان وهند بن عمرو الجملى(٢). وقد انصاع الوليد لقرار العزل وخرج من منطقة الجزيرة عائداً إلى المدينة المنورة، بعد أن ترك مائة من الإبل وديعة عند أحد مسلمى تغلب ويدعى حريث بن النعمان الذى خان الأمانة وضمها إلى حوزته(٣).

وثمة إشارة تدل على نجاح الوليد بن عقبة فى تعامله مع عرب الجزيرة رغم تشدده مع مخالفيهم. فقد اشتكى إليه أحد نصارى المنطقة، وكان شاعراً مجيداً يدعى أبا زبيد الطائى، اضطهاد أخواله له فى إحدى القضايا، "فأخذ له الوليد بحقه. فشكرها له أبو زبيد وانقطع إليه، وغشيه بالمدينة"(٤). بمعنى أن زيارة أبى زبيد للوليد استمرت بعد صرفه عن منصبه بالجزيرة وفترة إقامته بالمدينة المنورة، ثم إلى ما بعد ذلك كما سنرى.

يتضح لنا مما سبق أن الوليد إثر صرفه عن منصبه كجامع لصدقات عرب الجزيرة قد عاد إلى المدينة المنورة حيث أقام فى كنف أخيه لأمه عثمان بن عفان، ومجاوراً لأخته أم كلثوم بنت عقبة وزوجها حينذاك عبد الرحمن بن عوف(٥). ويتعارض هذا مع رواية أخرى مفادها أن الوليد بن عقبة لم يعزل عن منصبه بإقليم الجزيرة، بل استمر إلى آخر خلافة عمر بن الخطاب وصدر من خلافة عثمان بن عفان وأنه انتقل مباشرة إلى ولاية

---

(١) الطبرى:- جـ ٤، ص ٥٥؛ ابن الأثير:- جـ ٢، ص ٣٧٧ - ٣٧٨.
(٢) الطبرى:- جـ ٤، ص ٥٥-٥٦؛ ابن الأثير:- جـ ٢، ص ٣٧٨.
(٣) الطبرى:- جـ ٤، ص ٥٦.
(٤) ابن عساكر:- المصدر السابق والجزء، ص ٣٤٢.
(٥) انظر ما سبق (ص ٥ هامش رقم ٤).

الكوفة[١]. إلا أننا نميل لترجيح رواية عزله وعودته إلى المدينة المنورة حيث آوى إلى الظل قرابة ثمانى سنوات قبل أن يستعمله الخليفة عثمان على الكوفة خلال سنة ٢٥هـ، وذلك تفسيراً لانحسار الضوء عنه خلال هذه الفترة.

أقدم الخليفة عثمان خلال سنة ٢٥هـ (٦٤٦م) – على تعيين الوليد بن عقبة والياً على الكوفة بدلاً من الصحابى الجليل سعد بن أبى وقاص الذى كان قد استدان مبلغاً مالياً من بيت مال الكوفة وعجز عن السداد فى الموعد المحدد. فتشدد عامل خراج الإقليم حينذاك عبد الله بن مسعود، وهو أيضاً صحابى جليل، فى تحصيل الدين ولم يمهل الوالى سعد مدة جديدة، واستعان كل طرف بأناس ينصرونه على الطرف الآخر "فافترقوا بعضهم يلوم بعضاً". فلما بلغ الخبر الخليفة عثمان، قرر عزل سعد بن أبى وقاص عن الولاية وأبقى على ابن مسعود عاملاً على الخراج، وأرسل الوليد بن عقبة والياً على الإقليم[٢].

ورغم بساطة هذا الاختلاف، لاعتراف سعد بقيمة القرض وطلبه فقط نظرة إلى ميسرة، فإننا نعتقد أن الخليفة عثمان رأى فيه فرصة لمعاودة أهل الكوفة شغبهم على الولاة، الأمر الذى حدث قبل ذلك ضد سعد بن أبى وقاص نفسه وكذا الصحابى الجليل عمار بن ياسر أثناء خلافة عمر بن الخطاب[٣]. مما سيؤثر سلباً على دور الكوفة فى متابعة وتأمين فتوح أرمينية وأذربيجان، مقابل اختصاص البصرة بمتابعة فتوح فارس

---

(١) الطبرى:- جـ ٤، ص ٢٤٨؛ ابن الأثير:- جـ ٢، ص ٤٧٧. وانظر:- ابن حجر:- فتح البارى بشرح صحيح البخارى، م ١٠، ص ٦٠٢، فى تعليقه على حديث رقم ٣٦٩٦ من باب مناقب عثمان بن عفان، حيث قال ما نصه عن عثمان:- "وعزل سعداً واستحضر الوليد وكان عاملاً بالجزيرة على عسر بها، فولاه الكوفة".

(٢) ابن سعد:-الطبقات الكبرى، جـ ٦، ص ١٥؛ خليفة:- تاريخ خليفة، تحقيق د. أكرم العمرى، مطبوعات دار القلم ومؤسسة الرسالة بدمشق وبيروت، ط ٢ سنة ١٣٩٧ هـ ، ص ١٥٧؛ البلاذرى:- أنساب الأشراف، جـ ٥، ص ٢٩؛ اليعقوبى:- تاريخ اليعقوبى، جـ ٢، ص ١٦٥؛ ابن عساكر:- تاريخ دمشق، جـ ٢٦، ص ٣٣٥؛ ابن الجوزى:- المنتظم، جـ ٤، ص ٣٦٠-٣٦١؛ و جـ ٦، ص ٥؛ ابن الأثير:- الكامل، جـ ٢، ص ٤٧٦-٤٧٧؛ ابن واصل:- تجريد الأغانى للأصفهانى ق ١ جـ ٢، ص ٦٣٩-٦٤٠؛ الذهبى:- سير أعلام النبلاء، جـ ٣، ص ٤١٤؛ الفاسى المكى:- العقد الثمين، جـ ٧، ص ٤٠١ و ٤١٠-٤١١.

(٣) اليعقوبى:- تاريخ، جـ ٢، ص ١٥٥؛ الطبرى:- جـ ٤، ص ١٤٤ و ١٦٣؛ ابن الأثير:- جـ ٢ ، ص ٤٣٣.

وخراسان[١]. ولهذا جاء اختيار الخليفة عثمان للوليد بن عقبة أميراً على الكوفة، لأنه كان يعلم عنه خبرة عسكرية وحزماً إدارياً أثناء توليه صدقات عرب الجزيرة حتى إن تشدده مع المخالفين من نصارى المنطقة كان السبب فى جعل عمر بن الخطاب يعزله؛ إذ "خاف أن يحرجوه (أى الوليد) وأن يضعف صبره فيسطو عليهم، فعزله"[٢]. بمعنى أن الموضوعية والحرص على الصالح العام كانا السبب فى جعل الخليفة عثمان يختار الوليد على الكوفة، وليس لاعتبارات أخرى.

ورغم ذلك فإنه يحلو لبعض قدامى المؤرخين ومُحْدَثِيهم التشكيك فى هذا القرار، زاعمين أن الخليفة عثمان قد راعى فى الوليد كونه أخاه لأمه، وأنه خالف بذلك وصية سلفه عمر بن الخطاب ألا يحمل بنى أبى مُعَيْط وبنى أمية على رقاب الناس، وهى المخالفة التى زعموا كذلك أنها أتت بحدث صغير على حساب صحابى كبير، وأن ذلك كان سبباً فى إلحاق الأذى بعامة أهل الكوفة وخاصتهم، فضلاً عن القول بفسق الوليد وشهادة القرآن الكريم على ذلك[٣].

** ولا شك أننا فى غنية عن تكرار القول بشأن فرية الفسق وكيف ثبتت لنا براءة الوليد منها ومن غيرها. كما سيلى الحديث حالاً عن سياسة الوليد فى إدارة شئون الكوفة وهل كانت فاتحة خير لأهلها أم غير ذلك؛ إذ إنه بيت القصيد بالنسبة لهذه الدراسة.

---

(١) راجع قرار الخليفة عمر بن الخطاب سنة ٢٢هـ بالفصل بين اختصاصات الإقليمين عند:- الطبرى:- جـ ٤، ص ١٦٠-١٦١؛ ابن الأثير:- جـ ٢، ص ٤٣٢. وسيلى الحديث حالاً عن شغب أهل أذربيجان وأرمينية على الحكم الإسلامى منتهزين وفاة عمر بن الخطاب.

(٢) الطبرى:- جـ ٤، ص ٥٦.

(٣) لمجهول:- الإمامة والسياسة، جـ ١، ص ٣٥؛ البلاذرى:- أنساب الأشراف، جـ ٥، ص ٢٩-٣٠؛ اليعقوبى:- تاريخ، جـ ٢، ص ١٥٨؛ وانفرد المسعودى (مروج الذهب جـ ٢، ص ٣٤٣-٣٤٤) بالتصريح بأن عثمان بن عفان قد عين الوليد بن عقبة على الكوفة "وهو ممن أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أنه من أهل النار"؛ ابن واصل:- تجريد الأغانى للأصفهانى، ق ١ جـ ٢، ص ٦٣٩ (حيث يذكر سبباً ساذجاً عجيباً لتولية الوليد على الكوفة). وراجع:- يوليوس فلهوزن:- الدولة العربية، ص ٣٩-٤٤؛ د. طه حسين:- الفتنة الكبرى، عثمان ص ٧٣١ و ٨٠٠؛ د. محمد جمال الدين سرور:- الحياة السياسية فى الدولة العربية الإسلامية خلال القرنين الأول والثانى بعد الهجرة، طبعة دار الفكر العربى، ص ٥٧-٥٩؛ د. حامد جامع:- على بن أبى طالب رضى الله عنه (حاكماً وفقيهاً)، منشورات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية عن وزارة الأوقاف المصرية، القاهرة سنة ٢٠٠٣م، جـ ١، ص ١٤١-١٤٣.

** أما القول بأن تعيين الوليد بن عقبة إنما كان على حساب الصحابى الكبير سعد بن أبى وقاص فقد لوحظ أن ذلك كان سياسة عامة شملت أيضاً مصر التى استقر فى ولايتها سنة ٢٥هـ (٦٤٦م) عبد الله بن سعد بن أبى سرح بدلاً من الصحابى الشهير عمرو بن العاص، والبصرة التى أسندت ولايتها فى سنة ٢٩هـ (٤٩/ ٦٥٠م) إلى عبد الله بن عامر بن كريز بدلاً من الصحابى الجليل أبى موسى الأشعرى[١]. وقد دافع الخليفة عثمان بن عفان عن وجهة نظره فى إفساح المجال أمام الشباب بأنه كان مقتدياً برسول الله ﷺ الذى عين أسامة بن زيد بن حارثة ذى العشرين ربيعاً فى قيادة جيش الشام مع وجود كبار القادة من شيوخ الصحابة[٢]. ويقتضى السياق كذلك تذكر الملف الإدارى للوليد بن عقبة نفسه وما تخلله من مهام أسندها إليه الخليفتان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وظهر خلالها قسيماً لكبار الصحابة مما سبق الحديث عنه. وأخيراً ما فعله الخليفة عمر بن الخطاب عندما صرف سعد بن أبى وقاص عن ولاية الكوفة لشكاية أهلها ضده خلال سنة ٢١هـ (٦٤٢م)، وعين بدله عبد الله بن عبد الله بن عتبان، ثم استبدله بزياد بن حنظلة قبل أن يأتى أخيراً بعمار بن ياسر فى تلك الولاية[٣]. مما يدل على أن الدفع بقيادات شابة فى وظائف الدولة كان شيئاً عادياً ومعروفاً أنه لتحقيق الصالح العام. ولعل هذا ما جعل الدكتور أكرم العمرى يصرح بأن الخليفة عثمان حرص على اختيار ولاة الأمصار من أهل الكفاءة الإدارية والدربة العسكرية[٤].

** وعن القول بأن قرار عثمان تولية الوليد كان مخالفاً وصية عمر بن الخطاب ألا يحمل بنى أبى مُعَيْط وبنى أمية على رقاب الناس، فإننا لا نقر بهذه الوصية أصلاً،

---

(١) الكندى:- ولاة مصر، تحقيق د. حسين نصار، مطبوعات دار صادر ببيروت ١٩٥٩، ص ٣٤؛ الطبرى:- جـ ٤، ص ٢٥١ و ٢٦٤؛ ابن الأثير:- جـ ٢، ص ٤٩١.

(٢) انظر دفاع عثمان عن وجهة نظره أمام منتقديه عند:- الطبرى:- جـ ٤، ص ٣٤٦-٣٤٨. وعن ظروف تولية أسامة ابن زيد قيادة جيش الشام وما أثاره ذلك من دهشة، انظر:- ابن هشام:- السيرة النبوية، جـ ٤، ص ١٤٢ و ١٧٠. وراجع:- د. محمد حسين هيكل:- حياة محمد، منشورات مكتبة الأسرة عن الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، طـ ٣ سنة ١٩٩٦، ص ٣٩١-٣٩٢.

(٣) الطبرى:- جـ ٤، ص ١٢٢ و ١٣٨.

(٤) د. أكرم العمرى:- عصر الخلافة الراشدة، ص ١٣٣-١٣٥. وقد تتبع سيادته ولاة عثمان على الأقاليم وأثنى على إيجابياتهم بصفة عامة بما فيهم الوليد بن عقبة، كما سيلى تفصيله.

لسببين:- أنها تعنى اتهام الخليفة عمر بالتناقض؛ إذ إنه يحذر غيره من الميل لأشخاص قد استعملهم هو نفسه فى وظائف الدولة. كما أنه "هو الذى اختار أعضاء مجلس الشورى، لكونهم من أبرز الشخصيات العامة. الأمر الذى يثير التساؤل بشأن ما نسب إليه من انتقادات وجهها إليهم". وذلك حسب تعبير د. عدنان ملحم الذى قام على دراسة هذه الوصية مفنداً أقدم الروايات التى أوردتها، وهى تحديداً:- مرويات البلاذرى فى أنسابه واليعقوبى فى تاريخه وصاحب كتاب الإمامة والسياسة والطبرى. وخلص سيادته إلى نفيها بعد أن لاحظ تضاربها فيما بينها ووضوح الأهواء الشيعية والعباسية عليها، قائلاً:- "ومن الصعب الأخذ بهذه الروايات لأن عمر نفسه هو الذى اختار ... ولأنها أشارت إلى مقدرة عمر على توقع الغيب، وهو أمر لا يمكن الأخذ به. والمرجح أن هذه الروايات أضيفت عقب انتهاء أحداث الفتنة لأهداف شيعية وعباسية واضحة"[(١)]. ونعجب لأن كتب الصحيح من سنة رسول الله ﷺ قد حفظت وصية عمر بن الخطاب إثر طعنه لمن يأتى بعده من الستة الذين اختارهم دون تحديد لأيهم، وكانت عبارة عن نصائح عامة فى الحكم ولم تحو أية إشارة عن مراعاة الأقارب. وها هو البخارى يذكرها فى صحيحه على النحو التالى:- "أوصى الخليفة من بعدى:- بالمهاجرين الأولين... وأوصيه بالأنصار خيراً... وأوصيه بأهل الأمصار خيراً... وأوصيه بالأعراب خيراً ... وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله ﷺ أن ..."[(٢)].

** أما القول بأن الخليفة عثمان قد راعى فى الوليد كونه أخاه لأمه، فإننا نختصر المسافة بتوضيح مفهوم القربى لدى أفراد هذا الجيل من المسلمين الأوائل، مؤكدين أنها كانت قرابة لا تؤثر على الحق أو العدل، الأمر الذى أكده الخليفة عثمان فى دفاعه عن نفسه مفنداً قول من قال إنه يحب أهل بيته ويعطيهم:- "فأما حبى فإنه لم يَمِلْ معهم على جور، بل أحمل الحقوق عليهم. وأما إعطاؤهم فإنى أعطيهم من مالى، ولا أستحل أموال

---

(١) د. عدنان ملحم:- المؤرخون العرب والفتنة الكبرى، ص ٨٤-٨٦.

(٢) ابن حجر:- فتح البارى ، م ١١، كتاب فضائل أصحاب النبى، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفان، حديث رقم ٣٧٠٠، ص ١٥-١٧. وانظر تعليقات ابن حجر على متن الحديث وبداية زيادات الرواة والإخباريين على النص.

المسلمين لنفسى ولا لأحد من الناس"[١]. وكذا فعل على بن أبى طالب فى رده الحاسم على عبد الرحمن بن عوف متولى كبر مجلس الشورى قبل انتخاب عثمان:- "إن علىّ الاجتهاد لأمة محمد، حيث علمتُ القوة والأمانة استعنت بها، كان فى بنى هاشم أو غيرهم"[٢]. ولا ننسى أن أول اتهام بسوء التقدير والميل لمحاباة الأقارب قد وجه لرسول الله ﷺ أثناء توزيع غنائم يوم حنين فى موضع الجعرانة. ذلك أن الأنصار من أهل المدينة حزنوا لحصول فريق من مسلمة فتح مكة أو الطلقاء وغيرهم من حديثى العهد بالإسلام على نصيب أكبر من الغنائم، وقال قائلهم:- "لقد لقى والله رسول الله ﷺ قومه". الأمر الذى نفاه بشدة رسول الله ﷺ مؤكداً قاعدة شرعية توجب تأليف قلوب أولئك المسلمين الجدد ببعض الأشياء المادية، وهو ما أكده كذلك القرآن الكريم[٣]. بمعنى أنهم لم يُعَامَلوا على هذا النحو لاعتبار القربى، وإنما لكونهم مسلمين يرجى لهم أن يمس الإيمان شغاف قلوبهم بتلك الوسائل المادية، عكس المخلصين من قدامى المؤمنين، مما يعود أخيراً بالنفع على دولة الإسلام حيث ينعكس فهمهم العميق لقضايا الدين على أدائهم الجيد لوظائف الدولة؛ إذ الارتباط آنذاك كان وثيقاً بين الدين والدنيا.

وعليه، فإن الموضوعية تقضى أن يكون الحكم على صحة أو خطأ قرار التولية وهل كان يحوى شبهة مجاملة لقرابة أو ... أو ... أم وضعاً للشخص المناسب فى المكان المناسب (يكون) من خلال استعراض سياسة الوليد بن عقبة فى إدارة شئون الكوفة، وهل نجح فى السير بدفة الأمور نحو شاطئ الأمان أم لا؟

تنوعت سياسة الوليد فى إدارة شئون الكوفة، فظهرت بصماته فى الجانب الإدارى والاجتماعى وتفقد شئون الأمن الداخلى، بيد أن الطابع الجهادى كان الشغل الشاغل له، حرصاً على النهوض بمسئولية إقليم الكوفة تجاه متابعة وتأمين الفتوح الإسلامية فى أرمينية وأذربيجان. خاصة وأن أهل أذربيجان قد انتهزوا وفاة الخليفة عمر بن الخطاب

---

(١) الطبرى:- جـ ٤، ص ٣٤٧. ولاحظ الإحصاء الذى أجراه د. أكرم العمرى (عصر الخلافة الراشدة، ص ١٣٧-١٣٩) عن ولاة عثمان طوال خلافته وعددهم ٣٤ والياً، وأن أقاربه كانوا سبعة فقط.

(٢) لمجهول:- الإمامة والسياسة، ص ٣٠.

(٣) ابن هشام:- السيرة النبوية، ج٤، ص ٧٢-٧٣. والآية الكريمة رقم ٦٠ من سورة التوبة من سور القرآن الكريم. وقد أسمت أولئك المسلمين حديثاً بالمؤلفة قلوبهم وجعلتهم فى المرتبة الرابعة من مراتب مستحقى العطاء فى الدولة.

فنقضوا صلحهم مع الإدارة الإسلامية "فلما ولى عثمان، وولى الوليد بن عقبة الكوفة سار حتى وطئهم بالجيش". وذلك حسب تعبير الطبرى الذى أورد الخبر فى حوادث سنة ٢٤هـ (٦٤٥م) مخالفاً السياق العام للأحداث والذى يقضى بولاية الوليد للكوفة ابتداء من سنة ٢٥هـ (٦٤٦م) [١]. ويلاحظ أن بعض المؤرخين يجعلون تواريخاً مختلفة لهذه الغزوة، كما اختلفوا كذلك فى ذكر تفاصيل العمليات العسكرية[٢]، مما يجعلنا نرجح حدوثها على أكثر من مرحلة:-

ففى البداية، انتهز أهل أذربيجان وفاة الخليفة عمر بن الخطاب، فنقضوا صلحهم مع الإدارة الإسلامية مطلع خلافة عثمان بن عفان[٣]. وقد وضح عجز عامل المنطقة عتبة بن فرقد عن إخماد التمرد، فأقدم الوليد بن عقبة فور توليه الكوفة على عزله مما أدى إلى تفاقم الخطر فى نواحى أرمينية كذلك، ربما لخلو المنطقة من الجنود الذين لا ريب عادوا مع واليهم المعزول[٤]. فقرر الوليد الخروج بنفسه على رأس الجيش معتمداً على مرابطة

---

(١) الطبرى:- جـ٤، ص ٢٤٦-٢٤٧. حيث يؤكد عن أحد رواته، وهو أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدى، تاريخ هذه الغزوة فى سنة ٢٤هـ. وعاد سريعاً ليؤكد أن رواة آخرين غير أبى مخنف جعلوها فى سنة ٢٦هـ. بيد أن الطبرى لم يذكرها هناك، فقط ذكر خبر تولى الوليد للكوفة.

(٢) اتفق كل من خليفة بن خياط (تاريخ خليفة، ص ١٥٧-١٥٨و ١٦٠) والذهبى (العبر فى خبر من غبر، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، مطبوعات حكومة الكويت، ط ٢ سنة ١٩٤٨، جـ ١، ص ٢٨-٢٩) فى أن الوليد بن عقبة سير فى سنة ٢٥هـ تجريدة عسكرية إلى ناحية برذعة من نواحى أذربيجان، ثم كانت حملته الكبرى على الإقليم فى سنة ٢٨هـ. وانفرد ابن الأثير (الكامل، جـ ٢، ص ٤٧٧-٤٧٨) بذكر سبب غريب لتمرد أهل أذربيجان وأنه كان فى أعقاب عزل عامل الإقليم عتبة بن فرقد من جانب الوليد بن عقبة، كنوع من رد الفعل لحادثة العزل. وذلك رغم تأكيد ابن الأثير على حدوث التمرد فى سنة ٢٥هـ، ورغم انفراده بذكر تفاصيل متكاملة لتحركات الوليد العسكرية فى المنطقة.

- وعلى حين ذكرها ابن الجوزى (المنتظم، جـ ٤، ص ٣٤٥) تماماً مثل ابن الأثير فى حوادث سنة ٢٥هـ دونما التباس زمنى، نجد ابن كثير (البداية والنهاية، م ٤ جـ ٧، ص ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩) يجعلها فى سنة ٢٤ هـ تماماً مثل الطبرى، رغم ذكره ولاية الوليد للكوفة فى حوادث سنة ٢٥هـ، ثم عاد وكرر الأمر فى حوادث سنة ٢٦هـ.

- ومال الأستاذ فتحى عثمان (الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربى والاتصال الحضارى، ٣ أجزاء مطبوعات دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، القاهرة، جـ ٢، ص ٢٦٤) إلى جعل الغزوة فى سنة ٢٦هـ.

(٣) الطبرى:- جـ ٤ ، ص ٢٤٦-٢٤٧.

(٤) ابن الأثير:- جـ ٢، ص ٤٧٧.

أربعين ألف جندى بشكل دائم فى الكوفة لزوم فتح وتأمين أقاليم أرمينية وأذربيجان وكذا الرى الذى كان من المفروض أن يكون فتحه وتأمينه من اختصاص إقليم البصرة. وكان هؤلاء المرابطون يخرجون من الكوفة مناوبة، بواقع عشرة آلاف جندى كل عام ثم يعودون ليخرج مثلهم فى العام القادم، وهكذا، "فكان الرجل يصيبه فى كل أربع سنين غزوة"[١]. ومن الواضح أن الوليد بن عقبة لم يلتزم هذه المرة برقم عشرة آلاف جندى، بل زاد كثيراً على هذا العدد عند تعبئة الجيش، مما مكنه من التعامل على ثلاث جبهات فى آن واحد داخل أراضى أرمينية وأذربيجان:-

فقد سار فريق من الجيش تعداد أفراده أربعة آلاف جندى يقودهم عبد الله بن شبيل الأحمسى قائد طلائع الجيش تجاه الموقان والبيلقان (تقرأ خطأ:- الطيلسان) والبَبْر شرقى أذربيجان وأرمينية مما يلى بحر قزوين غرباً. واتجه قسم آخر تعداده اثنا عشر ألف جندى بقيادة سلمان بن ربيعة الباهلى إلى الشمال من أراضى القسم السابق حيث برذعة التى كانت قصبة إقليم الران (من أراضى أرمينية). وأقام الوليد بن عقبة على رأس بقية الجيش داخل إقليم أذربيجان لإخضاع بقية مدنه وتأمين الخطوط الخلفية لقائديه.

وسرعان ما آتت التحركات العسكرية لجنود الحملة ثمراتها تباعاً، فحضر فريق عبد الله الأحمسى "وقد سلم وغنم". وتبعه فريق سلمان الباهلى "وقد ملأ يديه حتى أتى الوليد". أما أهالى أذربيجان عامة "فلما أيقنوا بالهلكة، صالحهم على ما كانوا صالحوا عليه حذيفة بن اليمان (سنة ٢٢هـ) ثمانمائة ألف درهم فى كل سنة. فقبض (الوليد) منهم جزية سنة، ثم رجع سالماً غانماً إلى الكوفة"[٢].

---

(١) الطبرى:- جـ ٤ ، ص ٢٤٦.

(٢) نفسه والجزء، ص ٢٤٦-٢٤٧؛ ابن الأثير:- جـ ٢، ص ٤٧٧-٤٧٨؛ ابن الجوزى:- المنتظم، جـ ٤، ص ٣٤٥. وقد أورد ابن كثير (البداية والنهاية، م٤ جـ ٧، ص ١٩٧) ذكر الغزوة مختصراً على نحو جيد.

- وعن التعريف ببرذعة وموقان والبيلقان وموقعها إلى الغرب من بحر قزوين وأهمية كل منها بالنسبة للإدارة الإسلامية، مثل برذعة التى أصبحت مقراً لبيت مال إقليم الران (أو أران) من أقاليم أرمينية خلال العصر الأموى، انظر:- ياقوت الحموى:- معجم البلدان، ٥ أجزاء، طبعة دار الفكر ببيروت (د. ت)، جـ ١، ص ٣٣ (البيلقان) التى أصبحت تعد فى أقاليم أرمينية الكبرى؛ و ص ٣٧٩-٣٨٠ (برذعة) والتأكيد على وقوعها أقصى شمال شرق أذربيجان؛ و جـ ٥، ص ٢٢٥ (موقان). ولاحظ أن ياقوت ذكر التحركات العسكرية لسلمان الباهلى دونما تحديد زمنى أو إمرة الوليد بن عقبة. وراجع:- كى لسترنج:- بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية بشير فرنسيس وكوركيس عواد، منشورات مؤسسة الرسالة، سوريا، ط ٢ سنة ١٩٨٥، ص ٢٠٩-٢١٢ وخريطة رقم (٣) أمام ص ١١٧.

وفى طريق العودة، وعند وصوله إلى الموصل، وصله خطاب من الخليفة عثمان يطلب منه تسيير جزء من جيشه إلى الشام نجدة لأهلها ضد تحركات الروم التى هددت الوجود الإسلامى هناك. وحدد الخليفة فى خطابه إلى الوليد بن عقبة العدد المطلوب تسييره إلى الشام من ثمانية آلاف إلى عشرة آلاف جندى. ومعلوم أن هذه المهمة كانت تمثل عبئاً إضافياً على أولئك الجنود الذين لم ينالوا بعد راحتهم من غزوتهم السابقة. ولهذا بذل الوليد جهداً كبيراً فى إقناعهم بالمشاركة فى هذه الغزوة الجديدة "فانتدب فى ثلاثة أيام ثمانية آلاف. وأمّر سلمان بن ربيعة على الناس الذين يخرجون إلى الشام". وقد نجح أفراد هذه الحملة الجديدة بالتنسيق مع قائد جبهة الشام حبيب بن مسلمة الفهرى فى وقف غارات الروم، وحققوا انتصارات متتالية وعادوا إلى الكوفة أخيراً محملين بالغنائم[١].

ويبدو أن الوليد بن عقبة قد سار فى إثر هذه التجريدة إلى مشارف الحدود الشمالية للشام كى يحمى الخطوط الخلفية للقائد سلمان بن ربيعة، وأنه حدثت اشتباكات جانبية مع قوات الروم. يدلنا على ذلك رواية ابن عساكر عن أحد معاصرى الوليد، ويدعى علقمة، والذى عمل تحت إمرة الوليد أثناء قتال الروم، قائلاً:- "كنا بالروم وعلينا الوليد ..." فى إشارة منه لبعض الإجراءات الخاصة التى اتخذها المجاهدون حينذاك قبيل الاشتباك مع العدو، ووضح منها أن الصحابى الجليل حذيفة بن اليمان كان موجوداً كذلك[٢].

ولا شك أن هذه الحملة العسكرية الموفقة كانت بداية لسياسة جهادية مكثفة مارسها الوليد بن عقبة كى يقضى على فرص تجدد الاضطرابات فى تلك المناطق، حتى إنه "كان ليغزو فينتهى إلى كذا وكذا. ما قصّر ولا انتفض عليه أحد، حتى عزل عن عمله". بل جرى حصر عام لجميع غزواته وطريقته فى الغزو، فقيل عن ذلك:- "كان يغزو فى كل

---

(١) الطبرى:- جـ٤، ص ٢٤٧-٢٤٨؛ ابن الأثير:- جـ٢، ص ٤٧٨؛ ابن الجوزى:- المنتظم، جـ ٤، ص ٣٤٥؛ ابن كثير:- م٤ جـ ٧، ص ١٩٧. ولاحظ ما قيل عن أن سعيد بن العاص (الذى خلف الوليد فى حكم الكوفة) هو الذى سير سلمان بن ربيعة الباهلى نجدة لأهل الشام. الأمر الذى تشكك فيه الطبرى وابن كثير اللذان أوردا الخبر تحت عنوان "وزعم الواقدى أن ..."

(٢) ابن عساكر:- تاريخ دمشق، جـ٢٦، ص ٣٤١؛ الذهبى:- سير أعلام النبلاء، جـ٣، ص ٤١٤.

عام ثغر الكوفة الأيسر [شمالاً بغرب] ويغزو حذيفة [بن اليمان] ثغرها الأيمن [يعنى شمالاً بشرق]. ينتهى هذا إلى الباب [أو باب الأبواب، وكانت تعرف بالدربند]، وهذا إلى الرى. غزا خمس غزوات". وقرنه بعض معاصريه بالقائد الأموى الشهير مسلمة بن عبد الملك الذى سيلمع نجمه ابتداء من خلافة أبيه عبد الملك بن مروان(١).

وقد ظهرت آثار إيجابية حسنة لهذه السياسة الجهادية، وذلك من خلال مغانم الفتوح التى كان الوليد بن عقبة ورجاله يحصلونها من شعوب تلك المنطقة، وجرى العرف أن توزع فى معظمها على أهل الكوفة بمعرفة الخلافة. ولهذا قيل:- "وكان مما زاد عثمان بن عفان الناس على يده [أى الوليد] أن رد على كل مملوك بالكوفة من فضول الأموال ثلاثة فى كل شهر. يتسعون بها من غير أن ينقص مواليهم من أرزاقهم"(٢).

سياسة الباب المفتوح: والحق إن هذه السياسة الجهادية كانت أحد المحاور التى استند إليها الوليد فى احتواء أهل الكوفة وتوجيه طاقاتهم للصالح البناء. كما أنه استهل أعماله الإدارية داخل إقليم الكوفة بفتح قصر الإمارة للجميع يدخلون ويخرجون لعرض أمورهم الخاصة متى شاءوا واستمر على ذلك "فلم يتخذ لداره باباً حتى خرج من الكوفة"(٣). وقد يتبادر إلى الذهن أن ذلك الإجراء كان اتعاظاً بما حدث أثناء ولاية سعد بن أبى وقاص الأولى على الكوفة (١٧-٢١هـ/ ٦٣٨-٦٤٢م) عندما اتخذ باباً لقصر الإمارة، ونهاه الخليفة عمر بن الخطاب عن ذلك وأرسل من أشرف على هدمه(٤). إلا أننا نعتقد أن الوليد بن عقبة كان متخذاً سياسة الباب المفتوح بينه وبين أهالى الكوفة لاسترضائهم كى لا يستمروا على شغبهم المعتاد ضد ولاتهم. إذ من الثابت أنهم قد ظلموا الوالى سعد بن أبى وقاص وادّعَوْا زوراً أنه اتخذ الباب كى يحتجب عنهم داخل قصره

---

(١) الطبرى:- جـ ٤، ص ٢٧٤؛ محمد بن يحيى بن أبى بكر المالقى:- التمهيد والبيان فى مقتل الشهيد عثمان، تحقيق د. محمد يوسف زايد، منشورات دار الثقافة بالدوحة، قطر، ط ١ سنة ١٤٠٥هـ، ص ٥٣. وقد وصفه الذهبى (سير أعلام النبلاء، جـ ٣، ص ٤١٥) بأنه كان "شجاعاً قائماً بأمر الجهاد". وعن موقع الباب أو باب الأبواب من موانئ أرمينية الكبرى على الساحل الغربى لبحر قزوين، ويليها شمالاً بغرب إقليم القفقاس أو القوقاز حالياً، انظر:- كى ليسترنج:- بلدان الخلافة الشرقية، ص ٢١٤-٢١٥، وخريطة رقم ٣ أمام ص ١١٧.

(٢) الطبرى:- جـ ٤، ص ٢٧٤؛ المالقى:- التمهيد والبيان، ص ٥٣.

(٣) الطبرى:- جـ ٤، ص ٥٢؛ ابن الجوزى:- المنتظم، جـ ٤، ص ٣٦١.

(٤) الطبرى:- جـ٤، ص ٤٧؛ ابن الأثير:- جـ ٢، ص ٣٤٧

"وبلغ عمر ذلك وأن الناس يسمونه قصر سعد". بينما ثبت أنه فعل ذلك ضمن إجراءات عديدة اتخذها عشية تعرض بيت مال الكوفة للسرقة بعد إنشاء المدينة مباشرة. ولما كان بيت المال ملاصقاً لقصر الإمارة وكذا المسجد الأول، فإن الوالى سعد أعاد بناء المؤسسات الثلاثة فى موضع جديد أصبح فيما بعد أقرب للسوق "فكانت غوغاؤهم تمنع سعداً الحديث". فكأن اتخاذ الباب حينذاك لمنع وصول الضوضاء إلى داخل مجلس الحكم، وكذا منع اللصوص من التعرض بأذى لهذه المؤسسات الحكومية[١].

الكوفة ولاية مشاغبة: ويلاحظ أنها لم تكن المرة الوحيدة التى شغب فيها أهل الكوفة على أحد ولاتهم، فقد تكرر الأمر ثانية ضد الوالى سعد بن أبى وقاص نفسه مما جعل الخليفة عمر بن الخطاب يعزله رغم اقتناعه بصحة موقفه. وكذا شغبوا على غيره من الولاة حتى أصبحت سمة مميزة لإقليم الكوفة[٢]. وقد اهتم الدكتور يوسف خليف برصد هذه الظاهرة ونتائجها على الحياة الأدبية والعقلية لأهل الكوفة، وأرجع أسبابها إلى شعورهم بالتعالى على الدولة لدورهم الجهادى فى الفتوح الإسلامية ونجدتهم جيرانهم من أهل الشام وغيرهم أثناء الأزمات الحربية، وكذلك إلى تأجج الروح القبلية لديهم حيث برز خلالها ما للعصبية اليمنية من ثقل سواء من حيث ارتفاع الكثافة العددية لمقاتليهم أو سكناهم أجود أراضى الكوفة المجاورة لنهر الفرات[٣].

---

(١) البلاذرى:- فتوح البلدان، راجعه وعلق عليه رضوان محمد رضوان، مطبوعات دار الكتب العلمية ببيروت، سنة ١٩٨٣، جـ ١، ص ٢٧٧؛ اليعقوبى:- تاريخ، جـ٢، ص ١٥٥؛ الطبرى:- جـ ٤، ص ٤٦-٤٧؛ ابن كثير:- البداية، م٤، جـ ٧، ص ١٠١. ولمزيد من التفصيل:- انظر:- د. هشام جعيط:- الكوفة (نشأة المدينة العربية الإسلامية) مطبوعات الكويت، ط ١ سنة ١٩٨٦، ص ١٢١ و ١٣٦ – ١٣٧ و ١٤٠-١٤١.

(٢) انظر مقولة الخليفة عمر بن الخطاب حزناً من شغب أهل الكوفة الدائم على الولاة:- "من عذيرى من أهل الكوفة، إن استعملت عليهم القوى فجّروه، وإن وليت عليهم الضعيف حقّروه". وذلك عند:- البلاذرى:- فتوح البلدان، جـ ١، ص ٢٧٨. وراجع:- خليفة:- تاريخ خليفة، ص ١٤٩؛ الطبرى:- جـ ٤، ص ١٦٥؛ ابن عبد ربه:- العقد الفريد:- تحقيق أحمد أمين وآخرين، سلسلة الذخائر (عدد ١١٦) مطبوعات الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، مارس ٢٠٠٤م، جـ ٦، ص ٢٤٩.

(٣) د. يوسف خليف:- حياة الشعر فى الكوفة إلى نهاية القرن الثانى للهجرة (سلسلة المكتبة العربية عن وزارة الثقافة المصرية) الناشر دار الكاتب العربى بالقاهرة، سنة ١٩٦٨م، ص ١١٩-١٢٢ و ص ١٤٠-١٤١ و ص ١٧٩-١٨٢؛ د. هشام جعيط:- الكوفة، ص ٩٩ و ١٠٤-١٠٥ و ص ١١٨.

استهلال سيئ ويكفى أن نعرف تعليق بعضهم على خبر تولية الوليد بدلاً من الصحابى الجليل سعد بن أبى وقاص بأنه "بئسما ابتدلنا به عثمان. عزل أبا إسحاق الهين اللين الحبر صاحب رسول الله ﷺ، وولى أخاه الفاسق الفاجر.الأحمق الماجن"[١]. فكأنهم الآن فقط يتباكون على ولاية سعد بن أبى وقاص الذى أوسعوه نقداً وتبرماً. ومع ذلك فإن الوليد لم يعتد بهذا القول واعتبره تنفيساً عن مكنون صدور بعض الخاصة من زعماء العشائر اليمنية الذين أحفظهم استئثار أهل السابقة من قريش بمنصب الولاية على الكوفة. وجعل نصب عينيه تذويب هذه النعرة القبلية معتمداً فى ذلك على التنسيق الكامل مع الخليفة عثمان ابن عفان، والاستفادة بجهود أصحاب الخبرة فى إدارة شئون الكوفة قبله وأبرزهم الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود عامل خراج الكوفة.

اتجاه نحو المركزية: وآية ذلك ما حدث بصدد تنافس زعماء العشائر على من له حق ضيافة الغرباء والطارئين على إقليم الكوفة. وظهر منهم أبو سمال الأسدى الذى صار يستخدم منادين يجوبون شوارع الكوفة بأن "من كان هاهنا من كلب [إحدى قبائل اليمن] أو من بنى فلان – ليس لقومهم بها منزل – فمنزله على أبى سمال". وكان عبد الله ابن مسعود قد سبق بتخصيص داره التى بين عشائر قبيلته هذيل بضواحى الكوفة لاستقبال ضيوف المنطقة الذين أصبحوا "ينزلون داره فى هذيل إذا ضاق عليهم ما حول المسجد". فأقدم الوليد بعد استشارة الخليفة عثمان على شراء عدة مواضع بالكوفة وتخصيصها لإيواء أولئك الغرباء، مثل دار ابن هبار بمؤخرة المسجد الجامع، ودار عقيل بن أبى طالب التى أصبحت المقر الرئيسى للضيافة وسميت دار الضيفان[٢]. وذلك بهدف جعل هذا الحق موكولاً للدولة وحدها وليس للأفراد. وليس أدل على أهمية هذا

وراجع:- د. أكرم العمرى:- عصر الخلافة الراشدة، ص ١٢٧-١٢٨ و ص ١٣٦؛ و د. عدنان ملحم:- المؤرخون العرب والفتنة الكبرى، ص ١٣١. وقد أكد البلاذرى (فتوح البلدان، جـ ١، ص ٢٧٥-٢٧٦) ما للعصبية اليمنية من ثقل منذ الأيام الأولى لإنشاء الكوفة، حينما تحدث عن سكناهم أجود أراضى الكوفة المجاورة للضفة اليسرى لنهر الفرات بينما سكن عرب نزار أو الشماليون ما يلى ذلك غرباً. وذلك وفقاً للاقتراع الذى أجراه بينهما الوالى سعد بن أبى وقاص، وأن عدد اليمنية كان ١٢ ألفاً بينما النزارية ٨ آلاف.

(١) الطبرى:- جـ ٤ ، ص ٢٧٣؛ المالقى:- التمهيد والبيان، ص ٤٦.

(٢) د. عدنان ملحم:- المؤرخون العرب والفتنة الكبرى، ص ١٣٣.

الإجراء من ذكر الملاحظة الذكية للدكتور عدنان ملحم فى تعليقه على ذلك:- "وهى خطوة شكلت تحدياً لغرور الكوفيين، وخسارة اقتصادية كبيرة، حيث ترتبط الضيافة بالمُيّار. وهم الذين يأتون الكوفة ليشتروا الطعام – الميرة – ويبيعون ويربحون مما يعنى أن موضوع الضيافة كان يحمل فى طياته جانب كسب مادى لمن يستقبلهم".

شهية حول إجراءاته الإدارية: ومن العجيب أن يعد هذا الإجراء من جملة أخطاء الوليد بن عقبة، وذلك عندما فسر الدكتور طه حسين الأمر أنه تعبير عن اعتداد الوليد بقريشيته وبمكانته من الخليفة عثمان، ورغبته فى منافسة زعماء العشائر اليمنية الفخر والعز[١]. بينما وقف الدكتور يوسف خليف موقفاً وسطاً عندما زكى هذا الإجراء من جانب الخليفة عثمان ووالية الوليد، واعتبره رداً حاسماً على نزعات التنافس والتفاخر لدى زعماء العشائر بالكوفة. ثم نراه ثانية وفى ذات الموضع يؤكد أن الوليد كان يحمل فى طياته عصبية القبيلة وأرستقراطية الفاتح المنتصر "بل الحاكم المغرور". رغم أن سيادته لم يستدل بهذا الإجراء على صحة وجهة نظره، ولكن أحال القارئ إلى مرويات الأصفهانى فى أغانيه التى هى فى معظمها ذات مردود شيعى[٢]. وهو تفسير لا نعتد به، لأنه يعنى اتهام الوليد – ومن ورائه الخليفة عثمان – بالتناقض؛ إذ كيف يعول على العصبية اليمنية ذات الشوكة فى عمليات الجهاد العسكرى التى استغرقت فترة ولايته كلها، ثم هو يستفز زعماءهم على هذا النحو؟!!

جريمة القتل : أما الحدث الذى أثر كثيراً على علاقة الوليد بزعماء العشائر بالكوفة، فهو جريمة قتل ارتكبها ثلاثة من أبنائهم، وهم:- زهير بن جندب بن زهير الأزدى، ومورع بن أبى مورع الأسدى، وشبيل بن أبى زينب زهير (وقيل ابن أُبىّ) بن عوف الأزدى، وذلك عندما أقدموا على قتل جار لهم يدعى ابن الحيسمان الخزاعى بدافع السرقة مستغلين ظلام الليل. وقد أدت مقاومة الضحية لهم وصيحات استغاثته إلى لفت انتباه الجيران الذين أحاطوا بالفتية الثلاثة وأمسكوهم. وكان منهم أبو شريح الخزاعى، وهو أحد صحابة رسول الله ﷺ ممن قدم الكوفة للمشاركة فى الفتوح، والذى أكد فى شهادته

(١) د. طه حسين:- الإسلاميات (الفتنة الكبرى، عثمان) ص ٧٣٥.
(٢) د. يوسف خليف:- حياة الشعر فى الكوفة، ص ١٨٤ وهامش رقم ٥.

أمام الوليد بن عقبة أنه حاول وابنه عبر سطح منزله المجاور لمنزل القتيل منع الجناة من اتمام جريمتهم، لكنهم رفضوا الانصياع لتحذيراتهما. فأمر الوليد بالتحفظ على الجناة الثلاثة، وأرسل إلى الخليفة عثمان يستفتيه فى خبرهم. ولما جاء الجواب بإقامة الحد عليهم قصاصاً، أمر بقتلهم علانية فى الرحبة المواجهة للمسجد وقصر الإمارة [وقد جاء فى الروايات خطأ أنه أمام باب القصر، بينما من المعروف أنه لم يكن يوجد باب للقصر][(١)]. وقد استحوذ تصرف الإدارة فى معالجة القضية على إعجاب الحاضرين، فقال قائلهم، وهو عمرو بن عاصم التميمى[(٢)]:-

لا تأكلوا أبداً جيرانكم سرفاً ... أهل الزعارة فى ملك ابن عفان
إن ابن عفان الذى جربتم ... فطم اللصوص بمحكم الفرقان
ما زال يعمل بالكتاب مهيمناً ... فى كل عنق منهم و بنان

بيد أن العلاقة تأزمت بين الوليد وآباء الجناة الذين أقسموا على الانتقام من الوليد بشتى الوسائل، وصاروا يتحينون الفرص "ويضعون له العيون" التماساً لثغرة ينفذون منها إليه[(٣)].

سياسة اجتماعية ناجحة

وعلى العموم، فإن حزم الوليد تجاه المخالفين من أهل الكوفة لم يمنع من إقالته عثرة معوزيهم، حتى فى غير حالات الضرورة الشخصية. مثلما حدث مع لبيد بن ربيعة الشاعر الذى أخذ على نفسه عهداً أن يطعم المعوزين أثناء الأزمات الطبيعية وموجات الجفاف التى كانت تشهدها المنطقة مثل كارثة هبوب ريح الصبا المؤذية فى أوقات معلومة من العام. ونجح فى ذلك سنوات، حتى أعجزه الأمر خلال حكم الوليد بن عقبة الذى استحث سراة القوم على إعانته وخطبهم من على المنبر أن "أعينوا أخاكم"، وبعث إليه

---

(١) الطبرى:- جـ٤، ص ٢٧١-٢٧٢؛ ابن الأثير:- جـ٣، ص ٣؛ المالقى:- ص ٥٠-٥١. وقد أرخ د. عدنان ملحم (المؤرخون العرب والفتنة الكبرى، ص ١٣٢) هذه الحادثة فى سنة ٣٠هـ، استناداً إلى أن الطبرى ذكرها فى هذه السنة. بينما نرى أنها حدثت قبل ذلك بكثير، لأن الطبرى أورد فى سنة ٣٠ هـ كل الأحداث المتعلقة بالوليد والكوفة إجمالاً تحت عنوان: "ذكر السبب فى عزل عثمان الوليد عن الكوفة". وبالتالى فمن المحال أن تحدث كل هذه الحوادث مثل جريمة القتل وتوابعها ثم حادثة الساحر وغيرها، فى هذه السنة فقط.

(٢) الطبرى:- جـ ٤، ص ٢٧٢؛ المالقى:- ص ٥١.

(٣) ابن شبة:- تاريخ المدينة المنورة ، جـ ٣، ص ٩٧٢؛ الطبرى:- جـ ٤ ، ص ٢٧٣-٢٧٤.

بثلاثين من الإبل محملة بما يلزم لإطعام قاصديه. وقد شكر الشاعر لبيد للأمير الوليد هذا الموقف، وأمر ابنته أن تصوغ أبياتاً شعرية فى مدحه، لأنه امتنع عن نظم الشعر منذ اعتناقه الإسلام، فقالت [من بحر الوافر][١]:-

إذا هبت رياح أبى عقيل ... ذكرنا عند هبتها الوليدا
أبا وهب جزاك الله خيرا ... نحرنا وأطعمنا الثريدا
طويل للباع أبيض عبشمى ... أعان على مروءته لبيدا
بأمثال الهضاب كأن ركباً ... عليها من بنى حام قعودا
فعُدْ إن الكريم له معاد ... وظنى يا ابن أروى أن تعودا

وهناك أمثلة كثيرة لهذه الأعطيات التى كان الوليد يأمر بها لأصحاب الحاجات، واختص بها الولائد والإماء والموالى[٢]. مما جعل فريق من المؤرخين يثنون على سياسته فى الحكم قائلين:- "وكان أحب الناس فى الناس وأرفقهم بهم. فكان كذلك خمس سنين"[٣]. بل إن البلاذرى - ذا الميول الشيعية يذكر ما نصه:- "قالوا:- ولم يكن بسيرة الوليد فى عمله بأس..."[٤]. ويرتبط بهذا البعد الاجتماعى فى سياسة الوليد، ما كان يحدث فى دار الضيافة أو الضيفان من استضافات للغرباء الطارئين على الإقليم وأشهرهم الشاعر أبو زبيد حرملة بن المنذر الطائى الذى احترم للأمير الوليد بن عقبة انتصاره له ضد أخواله من عرب تغلب بأرض الجزيرة أثناء تولى الوليد صدقات عرب الجزيرة للخليفة عمر بن الخطاب، "فشكرها له أبو زبيد وانقطع إليه وغشيه بالمدينة . فلما ولى الوليد الكوفة أتاه مُسَلِّماً ومعظماً على مثل ما كان يأتيه بالجزيرة والمدينة". وقد أسفرت هذه المعاملة الكريمة عن اعتناق أبى زبيد للإسلام بعد أن كان نصرانياً[٥].

---

(١) ابن عساكر:- تاريخ دمشق:- جـ ٢٦، ص ٣٤٠-٣٤١؛ الفاسى:- العقد الثمين، جـ ٧، ص ٤٠٦-٤٠٧.

(٢) الطبرى:- جـ ٤، ص ٢٧٧-٢٧٨.

(٣) الطبرى:- جـ٤، ص ٢٥٢؛ ابن واصل:- تجريد الأغانى للأصفهانى، ق ١ جـ ٢، ص ٦٤٥؛ المالقى:- التمهيد والبيان، ص ٥٠؛ ابن كثير:- البداية، م ٤ جـ ٧، ص ١٩٩. وراجع:- د. طه حسين:- الفتنة الكبرى (عثمان)، ص ٢٣٢ (فى أول حديثه عن الوليد).

(٤) البلاذرى:- أنساب، جـ ٥، ص ٣٣.

(٥) ابن عساكر:- تاريخ دمشق، جـ ٢٦، ص ٣٤٢.

شبهات حول سياسته الاجتماعية

وعلى أية حال، فإن هذه السياسة الاجتماعية للوليد قد فسرت على نحو آخر؛ إذ أعطياته للعوام اعتبرت ميلاً منه تجاههم بهدف اتخاذهم سلاحاً للدولة المعتدة دائماً بأرستقراطيتها القريشية، كى تستخدمه فى الوقت المناسب ضد طبقة الخاصة من زعماء العشائر الأخرى، وبخاصة اليمنية[١]. كما أن احتباءه الشاعر أبى زبيد الطائى ما هو إلا بسبب رقة دين الاثنين، بحيث قيل إن اجتماعهما كان دائماً على سكر ومجون[٢]. وزاد البلاذرى والأصفهانى أن الوليد "كان يُدخل أبا زبيد المسجد وهو نصرانى ويُجرى عليه وظيفة (أى عطاء) من خمر وخنازير تقام له فى كل شهر. فقيل له:- قد عظم إنكار الناس لما تجرى على أبى زبيد. فقوَّم ما كان وظف له دراهماً، وضمها إلى رزق كان يجريه عليه؟" [٣]. وتساءل د. طه حسين عما يمكن أن تسفر عنه هذه العلاقة بين الإثنين، قائلاً:- "ومن يدرى، لعل هذا الشاعر عاد مرة أو غير مرة إلى مثواه (أى موضع مبيته بالكوفة) وقد أخذت منه الخمر. فلم يحسن أن يمسك لسانه. فنبههم ذلك إلى التجسس على الوليد"[٤]. بمعنى أن سيادته قد التمس العذر للذين تولوا كبر اتهام الوليد من المحرضين والمتجسسين فيما فعلوه بعد ذلك، رغم الاتفاق على أنهم كانوا من خصوم الوليد كآباء الجناة الثلاثة فى جريمة القتل ممن هو "موتور فى نفسه"، و"نفر ممن قد عزل الوليد عن الأعمال"[٥].

---

(١) د. طه حسين:- المرجع السابق، ص ٧٣٥. ويقول د. حامد جامع (على بن أبى طالب، حاكماً وفقيهاً جـ ١، ص ١٤٣). ما نصه:- "ولم تكن سيرة الوليد فى الكوفة خيراً من سيرته فيما مضى من عمره". وإن عثمان عزله مقيماً عليه حد شرب الخمر "ولكن بعد أن أسخط القراء وأهل الصلاح والتقوى والدين والفقه وخاصة أهل الكوفة، على عثمان، وبذر فى تلك المدينة بذور التمرد على عثمان ". ورغم خطورة هذا الحكم، فإن سيادته أورده دونما حادثة واحدة تفصيلية ودونما مصدر أو مرجع يدعم وجهة نظره.

(٢) ابن عساكر:- جـ٢٦، ص ٣٤٢؛ الفاسى:- العقد، جـ ٧، ص ٤٠٣. وراجع:- د. طه حسين:- الفتنة الكبرى (عثمان) ص ٧٣٢ و ٧٣٥.

(٣) أنساب، جـ ٥، ص ٣١؛ ابن واصل:- تجريد الأغانى للأصفهانى، ق ١ جـ ٢، ص ٦٤٢. وجعله المسعودى (مروج الذهب، جـ ٢، ص ٣٤٤) يشرب مع ندمائه ومغنيه من أول الليل إلى الصباح.

(٤) د. طه حسين:- ص ٧٣٥.

(٥) ابن عساكر:- جـ ٢٦، ص ٣٤٤و ٣٤٥.

وهكذا مضت الأحداث ما بين خصوم يتربصون بالوليد، وروايات تاريخية يتلمس أصحابها – قدامى ومُحْدَثون – المعاذير لهم. ولهذا لم يكن غريباً أن نرصد مواقف حادة أخذت فى التصاعد حتى بلغت ذروتها بنجاحهم فى عزله عن ولاية الكوفة على نحو مهين.

أسباب أخرى لازدياد المعارضة

بيد أننا نعرض لحادثين مهمين نتعرف من خلالهما على استمرار جهود الوليد فى تتبع المخالفين، وتحول هؤلاء إلى جماعات المعارضة. أولهما:- ما حدث مع كعب بن ذى الحبكة النهدى – من أهل الكوفة – الذى كان يمارس السحر بحجة أنه يقرأ الطالع للناس، أو ما كان يسمى "يعالج نيرنجا". فاستطلع الوليد رأى الخليفة عثمان فى شأنه، فأرسل إليه أن أقره على ما يفعل، بمعنى استتابته عن جرمه، "فإن أقر به فأوجعه". ففعل الوليد ذلك، ولكن كعباً أصر على أن ما يفعله "إنما هو رفق وأمر يعجب منه". فأمر الوليد به فعزره تأديباً له، وأعلن ذلك بين أهل الكوفة، وقرأ عليهم كتاباً وصل من الخليفة يأمرهم بالجد والابتعاد عن الكذبة والمهرجين. ولكن ابن ذى الحبكة لم يرتدع بهذا العقاب وازداد عناداً وأصبح من المعارضين "فنفر فى الذين نفروا، فضرب معهم". فأمر الوليد بسجنه حتى يأتى فيه رأى الخليفة عثمان الذى أمر هذه المرة بنفيه، وآخر ممن على شاكلته يدعى مالك بن عبد الله "وكان دينه كدينه"، إلى موضع دُنْباوند (أو جبل دماوند أو جبل الدخان المشرف على الرى وطهران من جهة الشمال) "لأنها أرض سحرة". وقال ابن ذى الحبكة وهو فى منفاه شعراً يهجو فيه الخليفة عثمان والوليد معاً، منه[1]:-

لعمرى لئن طردتنى ما إلى التى ... طمعتَ بها من سقطتى لسبيل
رجوت رجوعى يا ابن أروى ورجعتى ... إلى الحق دهراً غال ذلك غول
وإن اغترابى فى البلاد وجفوتى ... وشتمى فى ذات الإله قليل
وإن دعائى فى كل يوم و ليلة ... عليك بدنباوندكم لطويل

(١) الطبرى:- جـ٤، ص ٤٠١-٤٠٢. وعن موقع دنباوند، انظر:- كى لسترنج:- بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤١١-٤١٢ وخريطة رقم ٥ أمام ص ٢٢٤.

ويذكر الطبرى أن ابن ذى الحبكة استمر مخاصماً لإدارة الخليفة عثمان، رغم أن الوالى سعيد بن العاص – الذى ولى الكوفة بعد الوليد – قد شفع لدى الخليفة فى إعادته إلى الكوفة "وأحسن إليه واستصلحه ... فلم يزدد إلا فساداً"[١].

أما الحادث الثانى، فكشف لنا عن ازدياد حركة المعارضة ضد الوليد يوماً بعد يوم، وذلك عندما سرق ضابئ بن الحارث البرجمى من جيرانه، وكانوا قوماً من الأنصار، كلب صيد من فصيلة نادرة يسمونه "قرحان" وحبسه عنهم. فاستعانوا عليه بعشيرته التى ردت الكلب لأصحابه، مما أغاظ ضابئ فشتم الأنصار جيرانه بأبيات شعرية مريرة استوجبت من الوليد بن عقبة أن يعزره بالسجن "كما كان يصنع بالمسلمين". وقد استمر ضابئ فى السجن حتى توفى "فلذلك صار عمير بن ضابئ سبئياً". وهى جملة كشف لنا الطبرى بها عن السر فى كون عمير بن ضابئ وابن ذى الحبكة كذلك من قيادات السبئية التى خرجت ضمن الوفد الكوفى لخلع عثمان بن عفان مما أدى إلى قتله[٢].

إصرار وتربص

وابتداءً، نراهم يبالغون فى إثبات صحة اتهامهم للوليد وأبى زبيد، فيقتحمون عليه داره بعد أن أنبأهم جاسوس لهم أن مجلس الخمر منعقد فى دار الوليد. ولكنهم لم يعثروا على شىء، فقط وجدوا طبقاً يحوى بقايا عنب. وأكدت الروايات – ربما بمبالغة مضادة – أن الوليد أدخله تحت سريره حياءً "أن يروا طبقه وليس عليه إلا تفاريق"، وذلك رغم اقتحامهم المفاجئ لداره. مما جعلهم يخرجون سريعاً بعد شعورهم بالحرج، وصاروا موضع غضب من عرف بذلك من أهل الكوفة. ومع هذا فإن الوليد "ستر عنهم ذلك وطواه عن عثمان، ولم يُدخل بين الناس فى ذلك شىء، وكره أن يفسد بينهم، وسكت عن ذلك وصبر"[٣].

حقيقة مجالس السمر

ونفهم من هدوء الوليد بن عقبة وتراخيه عن الحزم مع أمثال هؤلاء الذين اقتحموا عليه مجلسه، أنه ليس إيثاراً للسلم بقدر ما هو اعتراف ضمنى منه أنه كان على خطأ ما؛ إذ

---

(١) الطبرى:- جـ ٤، ص ٤٠٢.
(٢) المصدر نفسه والجزء، ص ٤٠٢-٤٠٣.
(٣) ابن عساكر:- جـ ٢٦، ص ٣٤٤ و ٣٤٥.

محال علينا أن ندعى العصمة له أو لغيره. بيد أن الأمر ربما كان تعبيراً عن إسرافه على نفسه إذا ما خلا بها أو بأحد من بطانته الخاصة كأبى زبيد الذى كان الوليد يشاركه فى نظم الشعر، وقد وردت عنه قصائد عديدة صاغها فى مناسبات مختلفة[١]. كل ما هنالك أننا نرفض المبالغة فى وصف هذا الخطأ، وهو أمر وضح فى طريقة المعالجة سواء من ناحية خصوم الوليد ومعاصريه أو من قدامى المؤرخين ومُحْدَثيهم. ودليلنا على ذلك، أننا حتى الآن لم نجد للوليد أنه أصدر قراراً ما وهو تحت تأثير الشراب، كما أنه ربما كان يشرب نوعاً من النبيذ عبارة عن نقيع التمر أو الزبيب أو الشعير شاع استخدامه فى بعض الأوساط حينذاك كمسهل للهضم وليس بخمر. وهو ما عبر عنه الشاعر أبو زبيد الطائى صديق الوليد بعد عزله عن الكوفة وإقامة حد الخمر عليه، وذلك من قصيدة قال فيها[٢]:-

قولهم شربك الحرام وقد كان شراب دون (وقيل سوى) الحرام حلال

من هم الفعلة وعلى أية حال ، فإننا نلاحظ اختلاف الروايات حول تحديد أشخاص المحرضين؛ إذ هم آباء الجناة الثلاثة فى جريمة القتل الشهيرة:- أبو زينب زهير بن عوف الأزدى وأبو مورع الأسدى وجندب بن زهير الأزدى والجاسوس مجهول. بينما فى رواية أخرى هم:- النعمان بن أوس المزنى وجرير بن عبد الله البجلى ومعهما رجل من جلسائهما والجاسوس يدعى بكير بن حمران[٣]. ويدلنا هذا الاختلاف على أن الأمر

---

(١) ابن شبة:- تاريخ المدينة المنورة، جـ ١، ص ٢٩٩؛ ابن واصل:- تجريد الأغانى، ق ١ جـ ٢، ص ٦٤٥ و ٦٤٦.

(٢) ابن شبة:- المصدر السابق، جـ ٣، ص ٩٧٤؛ ابن واصل:- المصدر السابق، ص ٦٤٢. وانظر:- على سبيل المثال ما قيل فى النبيذ عند فقهاء الأحناف عند:- السرخسى:- كتاب المبسوط فى الفقه الحنفى، مطبوعات دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، جـ ٢٤، ص ١٣. وراجع:- أحمد فتحى بهنسى:- الخمر والمخدرات فى الإسلام، مؤسسة الخليج العربى، ط١، القاهرة ١٩٨٩، ص ٦٢ وكتب الفقه الإسلامى التى اعتمد عليها فى هامش هذه الصفحة.

(٣) الطبرى:- جـ٤، ص ٢٧٤؛ ابن عساكر:- جـ ٢٦، ص ٣٤٢-٣٤٣؛ الفاسى المكى:- جـ ٧، ص ٤٠٣-٤٠٤. وانظر:- ترجمة جندب بن زهير الأزدى عند:- ابن حجر:- الإصابة فى تمييز الصحابة، م ١، ص ٧١٨-٧١٩ حيث لا توجد إشارة عن ابنه ولا عن دوره فى أحداث الكوفة ضد الوليد بن عقبة.

تكرر حدوثه؛ إذ جميع هذه الأسماء سوف تظهر فى أحداث الفتنة الكبرى سواء ضمن المتمردين ضد الخليفة عثمان أو فى صفوف على بن أبى طالب ضد معاوية بن أبى سفيان، وذلك وفق المخطط السبئى.

مع الصحابى حذيفة

ونلاحظ كذلك اختلاف الروايات فى تحديد شخص الشاهد العدل الذى انتوى المحرضون الإحتكام إليه. فهو حذيفة بن اليمان فى رواية، وفى أخرى عبد الله بن مسعود[١]. وإن كان يلاحظ أنهما من كبار صحابة رسول الله ﷺ بمعنى أن هناك إصرارا على توريط الوليد وتثبيت التهمة عليه. ولا نكون مبالغين فى القول بأن كلا الصحابيين الجليلين قد أدرك أن الشكوى كيدية، وذلك بحكم إقامتهما بالكوفة وتعاملهما المباشر مع الوليد بن عقبة كوالٍ على الإقليم. وبالنسبة للصحابى حذيفة بن اليمان، فقد طلب منهم التأكد بأنفسهم بعيداً عنه "ادخلا عليه، فانظرا إن أحبيتما!!"[٢]. وفى موقف مماثل، ادّعوا كذلك على الوليد شربه الخمر أثناء قيادته إحدى الغزوات بأرض أرمينية ضد الروم. وقد رد حذيفة الذى كان حاضراً حينذاك، بعدم الخوض فى هذا الأمر حتى لا يفت فى عضد الجنود ويكون سبباً فى الهزيمة، وضرورة تأجيل فتح هذا الملف إلى ما بعد المعركة. وقد انتهت الحادثة بالصمت، ولم تفصح الروايات عما دار بعد ذلك، دلالة على أنها كانت مكيدة جديدة ضد الوليد، وإلا لم يكن ليسكت عنها أحد رواتها وهو الحافظ الذهبى صاحب المؤلفات الغزيرة فى تتبع سير الرجال وإثبات الحكم الشرعى عليهم[٣].

مع الصحابى ابن مسعود

أما الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود، فقد أكثرت الروايات من إقحام اسمه فى العديد من المواقف التصادمية بين الوليد بن عقبة وبينه بصفته عامل خراج الكوفة ومعلم أهلها الحلال والحرام فى أمور الدين. وكانت هذه المواقف التصادمية تنتهى دائماً –

(١) المصادر السابقة والصفحات.

(٢) الفاسى: جـ٧، ص ٤٠٤.

(٣) البلاذرى:- أنساب، جـ ٥، ص ٣١؛ ابن عساكر:- تاريخ دمشق، جـ ٢٦. ص ٣٤١؛ الذهبى:- سير أعلام النبلاء، جـ ٣، ص ٤١٤.

فى زعم أصحاب هذه الروايات – بتعالى الوليد بن عقبة فى معاملة ابن مسعود الذى لم ينتفع بشكواه إلى الخليفة عثمان لأنه كان ينصر أخاه الوليد على عادة الجاهلية ظالماً أو مظلوماً.

مثلما حكوا فى رواية استدانة الوليد من بيت مال الكوفة، وكراهيته إصرار ابن مسعود على تحصيل القرض، بحيث شكاه إلى الخليفة عثمان الذى كتب إلى ابن مسعود:- "إنما أنت خازن لنا. فلا تعرض للوليد فيما أخذ من المال!؟". وطبيعى أن يكون رد ابن مسعود – وفق هذا التصوير الدرامى – قيامه بإلقاء مفاتيح بيت مال الكوفة فى وجه الوليد، وعزل نفسه عن الوظيفة قائلاً:- "كنت أظن أنى خازن للمسلمين. فأما إذا كنت خازناً لكم فلا حاجة لى فى ذلك"[(١)]. وهى رواية أقل ما توصف أنها مُخْتَلَقة، كما أنها استهلكت من كثرة استخدامها قبل ذلك، فى حق سعد بن أبى وقاص كما رأينا، ثم فى حق الخليفة عثمان نفسه الذى نسبوا إليه اقتراضه من بيت مال العاصمة فى المدينة المنورة وأنه زجر عامل الخراج لديه بمثل هذه الكلمات وأن هذا العامل ألقى المفاتيح واعتزل الوظيفة[(٢)]. ويكفى أن د. طه حسين قد رفضها عند استخدامها أول مرة فى حق سعد بن أبى وقاص[(٣)]. وإذا كان هذا النقد يندرج تحت مسمى رفض الرواية شكلاً، فإنا نرفضها كذلك من حيث المضمون لفساد طريقة المؤرخين فى إثباتها. فالبلاذرى – مثلاً – يؤكد حدوثها فى أوائل ولاية الوليد على الكوفة[(٤)]، مما يلقى بظلال من الشك حول موقف عبد الله بن مسعود وكيفية إقامته بالكوفة بعد عزله عن خراج الإقليم حيث من الطبيعى أن يكون حجر عثرة ضد الوليد وطريقته فى الحكم. كما أن هذا التأريخ المبكر للحادثة يرسّخ اتهام الخليفة عثمان بالتناقض الشديد؛ إذ كيف يصدر قرارين متضادين فى سنة واحدة وقضية واحدة هى مسألة الحفاظ على المال العام؟ فمرة ينتصر لعبد الله بن مسعود بصفته

---

(١) ابن شبة:- تاريخ المدينة المنورة، جـ ٣، ص ١٠٤٩؛ البلاذرى:- أنساب، جـ ٥، ص ٣٠-٣١ و ٣٦. وقد ذكر د. عدنان ملحم (المؤرخون العرب والفتنة الكبرى، ص ١٢٨-١٢٩) هذه الحادثة دونما تعليق رغم اشتهاره بنقد طريقة البلاذرى وغيره فى كتاباتهم.

(٢) اليعقوبى:- تاريخ اليعقوبى، جـ ٢، ص ١٦٨-١٦٩.

(٣) د. طه حسين:- الإسلاميات (الفتنة الكبرى، عثمان)، ص ٧٢٩.

(٤) أنساب الأشراف، جـ ٥، ص ٣٠-٣١.

عامل خراج الكوفة ضد الوالى السابق سعد بن أبى وقاص، وأخرى يخذل عامل الخراج نفسه لصالح الوالى الحالى الوليد بن عقبة.

ثم نجد البلاذرى يعود لذكر حادثة استدانة الوليد مرة ثانية، مؤكداً أنها كانت سبباً فى استدعاء ابن مسعود إلى المدينة المنورة على نحو مهين، وذلك بعد أن صار يندد بسياسة الخليفة عثمان والوليد بن عقبة ومعرضاً بعزل سعد بن أبى وقاص عن ولاية الكوفة واستبدال الوليد به "أيعزل مثل سعد بن أبى وقاص ويولى الوليد؟"[١]. وهو كلام يحوى تناقضاً غريباً؛ إذ كيف يصدر عن ابن مسعود الذى كان عزْلُ سعدٍ بمثابة انتصار له؟ ثم إن مناسبته أول تعيين الوليد (سنة ٢٥هـ/ ٦٤٦م)، بينما استدعاء ابن مسعود إلى المدينة المنورة حدث أخريات ولاية الوليد، وبالتحديد فى سنة ٢٩هـ (٦٥٠م). لأن ابن مسعود استمر مقيماً بالمدينة – على نحو مهين كما زعمت الرواية ذاتها – ثلاث سنوات حتى وفاته بها خلال سنة ٣٢هـ (٥٢/ ٦٥٣م).

وهكذا فى باقى المواقف التصادمية التى زعموا حدوثها بين الوليد بن عقبة وعبد الله بن مسعود؛ كقولهم إن الوليد عمد إلى تأخير الصلاة عن أول وقتها، فبادر ابن مسعود للصلاة بالناس محذراً من خطورة الابتداع فى تأخيرها[٢]. وهو أمر لم نقرأ عنه إلا فى العصر الأموى[٣]. كما نعلم عن مروان بن الحكم أنه أول من أخر إقامة صلاة العيدين إلى ما بعد خطبة العيد[٤]. ومحال أن يحدث هذا من الوليد بن عقبة الذى تأكدت صحبته للنبى محمد ﷺ. ويكفى أننا لم نجد هذه الحادثة عند أحد من المؤرخين غير ابن عساكر الذى أوردها دون سند.

---

(١) المصدر نفسه والجزء، ص ٣٦-٣٧.

(٢) ابن عساكر:- تاريخ دمشق، جـ٢٦، ص ٣٤١-٣٤٢.

(٣) قيل عن مناقب الخليفة الأموى سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ/ ٧١٥-٧١٧م) إنه افتتح خلافته بخير، وذلك بإجابة الصلاة لمواقيتها. انظر:- الذهبى:- سير أعلام النبلاء، جـ ٥، ص ١١٢. وراجع: محمود شاكر:- التاريخ الإسلامى، جـ ٤ (العهد الأموى)، مطبوعات المكتب الإسلامى ببيروت ودمشق، ط٢، سنة ١٩٨٥، ص ٢٣١.

(٤) عن ذلك انظر:- الإمام مسلم:- صحيح مسلم بشرح النووى، طبعة الحلبى بالقاهرة (د.ت). كتاب الإيمان، باب كون نهى المنكر من الإيمان، جـ ٢، ص ٢١.

وقولهم إن ابن مسعود صار يردد الحديث النبوى الشريف: "إن أصدق القول كتاب الله، وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار". معرضاً بالوليد بن عقبة وبالخليفة عثمان كذلك. وإن الوليد أرسل إليه "أن اسكت عن هؤلاء الكلمات". وقيل إن الخليفة عثمان هو الذى بعث إلى ابن مسعود:- "إما أن تدع هؤلاء الكلمات وإما أن تخرج. فخرج عبد الله (يعنى من الكوفة)" (١). وهو أمر سنرى حالاً أنه كان له علاقة بالخلاف الفقهى بين عبد الله بن مسعود والخليفة عثمان حول قضية نسخ المصحف الكريم، ولم يكن للوليد وسياسته فى إدارة شئون الكوفة أية علاقة بذلك.

وأخيراً تم الزج باسم ابن مسعود كشاهد عيان على صلاة الوليد بن عقبة بالناس وهو ثمل يترنح من السكر، وأنه رد ساخراً هازئاً على سؤال الوليد أن يزيد فى الصلاة عن الركعات المفروضة، قائلاً:- "ما زلنا معك فى زيادة منذ اليوم" (٢). مما يعد مخالفة لما سنراه حالاً من أن اتهام الوليد بشرب الخمر وهل صلى على حاله تلك أم لا، قد حدث فى ختام ولايته حيث تلى ذلك مباشرة عزل الوليد واستدعاؤه لمحاكمته فى المدينة المنورة، يعنى فى سنة ٣٠هـ (٦٥١م)، بينما كان ابن مسعود قد غادر الكوفة قبل ذلك بسنة على وجه التحديد.

حقيقة ما بين الوليد وابن مسعود

وفى محاولة لفهم حقيقة ما بين الرجلين، نعرض لرد ابن مسعود على جندب بن زهير الأزدى والذين معه عندما "جاءوا إلى ابن مسعود فقالوا الوليد يعكف على الخمر.

---

(١) ابن شبة:- تاريخ المدينة المنورة، جـ ٣، ص ١٠٤٩؛ البلاذرى:- أنساب، جـ ٥، ص ٣٦ (حيث يؤكد أن ابن مسعود كان يقولها بإصرار وباستمرار من على منبر المسجد كل جمعة.؛ الذهبى:- سير أعلام النبلاء، جـ ٣، ص ٤١٥-٤١٦ (ويلاحظ صمت الذهبى عن التعليق على الرواية).

(٢) ابن عبد البر:- الاستيعاب، م٦ ، ص ٣٣٠ (ولاحظ الإفراط فى اقحام اسم ابن مسعود على أنه أعد استقبالاً سيئاً للوليد أول قدومه الكوفة)؛ ابن واصل:- تجريد الأغانى للأصفهانى، ق ١ جـ ٢، ص ٦٤٠؛ الفاسى:- العقد الثمين، جـ ٧، ص ٤٠١-٤٠٢. ويلاحظ أن البلاذرى (أنساب، جـ ٥، ص ٣٤) لم يصرح باسم ابن مسعود فى هذه الحادثة، بل ذكر أن الذين أجابوا الوليد على سؤاله هم جماعة من الرجال، واستخدم لفظة:- "فقالوا:- لا"..

وأذاعوا ذلك حتى طرح على ألسن الناس". فقال لهم:- "من استتر منا بشيء لم نتبع عورته ولم نهتك ستره". وتضيف الرواية أن الوليد بن عقبة غضب عند سماعه قول ابن مسعود واستدعاه حيث عاتبه قائلاً:- "يرضى من مثلك بأن تجيب أقواماً موتورين، على أى شيء أستتر به؟ إنما يقال هذا للمريب (وفى رواية:- للملجلج. أى المختلط لاعوجاج فيه أو تردد)". وتختم الرواية الحديث بالإشارة إلى أن الحوار بينهما ازداد سخونة، "فتلاحيا. وافترقا على تغاضب. ولم يكن بينهما أكثر من ذلك"[1].

ونعتقد أن هذه الحادثة تعد نموذجاً صادقاً لتصوير حقيقة العلاقة بين الرجلين؛ إذ هى تقدم مثالاً لاختلاف الرأى بينهما حيث راح كل منهما يعرض وجهة نظره دونما مجاملة للآخر. ولكنه اختلاف حميد لم يتم تصعيده أو استثماره على نحو سيئ، وبتعبير آخر خلاف لم يفسد للشرع قضية. فابن مسعود يعلم إصرار المخالفين من خصوم الوليد ومبالغتهم فى إثبات التهمة عليه بتتبع عوراته والتجسس عليه، فأراد علاج الأمر فى نطاقه الشرعى واللجوء للمنافذ الشرعية وليس بطريق المبالغة والغيبة والنميمة التى هى أصلاً تعد قدحاً فى ذات المدعى عليه وخطأ يوجب العقاب. خاصة وأن الوليد يستر نفسه ولم يجاهر علانية ولم يؤثر عنه أنه كان متأثراً بسكر أثناء مباشرته مهام الحكم. أما الوليد بن عقبة فيدرى أن خصومه بلغوا درجة محمومة فى التعرض له، وأن كلاماً عاماً من شخصية كبيرة كابن مسعود سوف يعطيهم الفرصة، ولهذا استدعاه ولفت نظره إلى خطئه فى عدم حسم الكلام معهم؛ إذ لم يكن الموقف يسمح بالتردد أو التلجلج، لأنه (أى الوليد) ليس بالمتلجلج أى المعوج كما يدعون. ومؤكد أن ابن مسعود دافع عن مقولته لهم بأنه قصد توجيههم للطريقة الشرعية فى التعبير عن معتقدهم كحق لهم طالما أنهم مصرون على فعل شيء ما، وأن الخطأ يعود أصلاً إلى الوليد فى عدم حسم القضية معهم منذ البداية. وهو ما يعد تفسيراً للملاحاة التى حدثت بينهما وأدت لافتراقهما على غضب. أما جملة "ولم يكن بينهما أكثر من ذلك" فتدلنا على استمرار العلاقة بين الاثنين على طبيعتها، وسنجد الوليد يستمر فى الاعتماد على استشارة ابن مسعود كصحابى جليل له ثقله الشرعى فيما أشكل

---

(١) الطبرى:- جـ ٤، ص ٢٧٤-٢٧٥؛ ابن عساكر:- جـ ٢٦، ص ٣٤٣؛ المالقى:- التمهيد والبيان ص ٥٣. وعن معنى الملجلج، انظر:- المعجم الوسيط، ص ٨١٦.

من أمور. وبالتالى فإنه من الخطأ تماماً التعويل على تفسيرات المؤرخين – القدامى والمُحْدَثين – بأن ابن مسعود كان حجر عثرة ضد الوليد بن عقبة لأخطائه فى إدارة شئون الكوفة، وأن الخليفة عثمان كان متستراً على أخطاء واليه.

لماذا ابن مسعود؟ والحق إن الإكثار من إقحام اسم ابن مسعود على النحو السابق كان يسير وفق المخطط السبئى الذى اخترع أصحابه هذه المواقف التصادمية بين ابن مسعود كصحابى جليل والوليد ابن عقبة، وجعلها وسيلة لتصادمه كذلك مع الخليفة عثمان المتهم بتستره على واليه، حتى تصبح واحدة من كبريات أخطاء الخليفة عثمان الموجبة لعزله أو قتله. ومثل هذا الشىء قيل عن أبى ذر الغفارى وأبى الدرداء من كبار الصحابة مع معاوية بن أبى سفيان والى الشام[1]. أما لماذا ابن مسعود تحديداً وليس مثلاً الصحابى الجليل حذيفة بن اليمان المقيم أيضاً بالكوفة وصاحب الصولات والجولات الجهادية انطلاقاً من أرضها إلى أرمينية وأذربيجان ومن قبلها إلى إقليم الرى، فلأن ابن مسعود قد اختلف بشكل حاسم مع الخليفة عثمان فى قضية فقهية بحتة تعرف بحادثة نسخ المصحف الشريف. وهى الحادثة التى تعود بدايتها إلى سنة ٢٩هـ (٦٥٠م) عندما نما إلى علم الخليفة عثمان اختلاف الأقاليم المفتوحة حديثاً فى قراءة القرآن الكريم وتعصب مسلمى كل إقليم للقراءة التى تعلموها؛ إذ كان القرآن الكريم حينذاك غير منقوط ولا مشكول. فاستدعى نسخة المصحف الكريم المكتوبة فى عهد أبى بكر الصديق والتى كانت محفوظة فى بيت أم المؤمنين السيدة حفصة رضى الله عنها، وأمر بتشكيل لجنة علمية لنسخها فى عدة نسخ ترسل للأقاليم. وكانت هذه اللجنة تتكون من عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص[2] وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وبرئاسة الصحابى الجليل زيد بن ثابت الأنصارى الذى تولى كتابة المصحف أول مرة بتكليف من أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب، ثم

---

(١) لاحظ أن أبا بكر بن العربى (العواصم، ص ٦١-٦٢) قد جعل تهمة اضطهاد ابن مسعود رقم ٢، واضطهاد أبى ذر رقم ٥، واضطهاد أبى الدرداء رقم ٦ من مجموع التهم التى وجهها السبئية للخليفة عثمان.

(٢) سعيد بن العاص هذا هو الذى سيخلف الوليد فى إمارة الكوفة سنة ٣٠هـ. ولهذا رجحنا سنة ٢٩هـ كتوقيت لبداية حادثة نسخ المصحف الكريم، مما كان سبباً فى استدعاء ابن مسعود من الكوفة إلى المدينة المنورة، وبالتالى لم يكن شاهداً على ما قيل بشأن صلاة الوليد وهو سكران. وممن قال ببداية حادثة نسخ المصحف فى سنة ٣٠هـ:- المالقى:- التمهيد والبيان، ص ٦٢.

لأنه هو الذى حفظ العرضة الأخيرة لكتاب الله على رسوله ﷺ قبيل وفاته حيث تم إعادة ترتيب آيات القرآن وفق السور الكاملة الموجودة الآن، وليس وفق ترتيب النزول. ثم أمر الخليفة عثمان باستدعاء النسخ الأخرى المخالفة لهذه النسخة، حيث قام بمحوها بنفسه، ومنها نسخة مصحف ابن مسعود رغم كونها صحيحة تماماً، لأن آياتها كانت وفق ترتيب النزول كما كانت بلهجة هذيل قبيلة ابن مسعود مما يجعلها مختلفة فى بعض ألفاظها عن النسخة الرسمية التى هى بلهجة قريش التى نزل بها القرآن من عند الله سبحانه وتعالى[١]. ولكن عبد الله بن مسعود رفض تسليم نسخته اعتزازاً بجهوده الصادقة فى تدوينها، وتزكية رسول الله ﷺ له، كما أن أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب لم يطلباها منه، فلِمَ يطلبها الآن الخليفة عثمان؟ ولكى يمحوها سواء بحرق المكتوب على سعف النخيل أو غسل المكتوب على ألواح!!!. ومن المؤكد أنه صار يردد من فوق المنبر بمساجد الكوفة أن ذلك من المحدثات فى الدين وأنها بدعة تؤدى إلى ضلالة ثم إلى النار، الأمر الذى جعل الخليفة عثمان يتعجل استدعاءه إلى المدينة المنورة مؤكداً على الوليد بن عقبة واليه التدخل لمنع انتشار رأيه بين الناس حتى تتم المناظرة الفقهية بينهما فى المدينة. ونرجح أن الوليد حاول بسرعة حسم هذا الموقف حتى لا يزيد فى مغالاة المغالين، فأرسل إلى ابن مسعود يمنعه من الاستمرار فى مسلكه هذا، الأمر الذى تم تفسيره على نحو خاطئ قبل ذلك[٢].

قضية الساحر وعلى أية حال، فمن المؤكد أن الوليد بن عقبة قرر منذ الآن عدم التردد فى معاملة خصومه بشدة، إلا إنهم كانوا أسبق فى انتهاز الفرصة التى لاحت لهم كى يظهروا الوليد بمظهر العاجز والمتخاذل عن تنفيذ حكم الله تعالى فى واحدة من أكثر القضايا إثارة، والتى أظهرت كذلك ميل الوليد للتنسيق الكامل مع ابن مسعود فيما

---

(١) أبو بكر بن العربى:- العواصم، ص ٦٦-٧١ وهامش تحقيق رقم ٢ ص ٧١-٧٢؛ المالقى:- التمهيد والبيان، ص ٦٢-٦٤.

(٢) أبو بكر بن العربى:- المصدر والصفحة. (وانظر ما سبق، ص ٢٧ هامش رقم ٥).. ولاحظ أن د. أكرم العمرى (عصر الخلافة الراشدة، ص ١٣٥) يذكر أن خلافاً حدث بين الوليد وابن مسعود، وأنه كان سبباً فى عزل ابن مسعود والإبقاء على الوليد. ولم يذكر سيادته نوع هذا الخلاف ولا سببه، بل قرنه بخلاف ابن مسعود مع سعد بن أبى وقاص، الأمر الذى رفضناه وأكدنا على فساد طريقة المؤرخين فى إثباته.

أشكل من أمور، وهى المعروفة بقضية الساحر[١]. وتبدأ أحداثها بحضور أناس من أهل الكوفة إلى الوليد مصطحبين أحد السحرة، جعله المسعودى يهودياً يدعى بطرونى (أو مطروى) من سكان إحدى قرى الكوفة مما يلى جسر بابل[٢]، وقد شهدوا عليه بممارسة السحر، فسارع الوليد بإخبار عبد الله بن مسعود بالأمر. ومن المؤكد أن طريقة ابن مسعود فى معالجة هذه القضية جعلت الوليد لا يرسل إلى الخليفة عثمان يستفتيه؛ إذ لا تذكر جميع الروايات اسم الخليفة عثمان فى بداية الحادثة. ذلك أن ابن مسعود حرص على التأكد إن كان الوليد قد استجوب الساحر بنفسه أم لا، ولما وضح أنه اعتمد على شهادة الحضور، تولى ابن مسعود بنفسه إقرار الساحر على نفسه كنوع من الاستتابة عن جرمه حتى تيقن إصراره واستهانته بخطورة ما يفعل، فأفتى للوليد بإعدامه. وكعادته أمر الوليد بإذاعة فعل الساحر بين الناس وأنه يرفض محاولات استتابته، وسوف يعلن عن موعد إعدامه[٣].

---

(١) البلاذرى:- أنساب، جـ ٥، ص ٣١- ٣٢؛ الطبرى:- جـ ٤، ص ٢٧٥؛ المسعودى:- مروج الذهب، جـ ٢، ص ٣٤٨؛ ابن عساكر:- تاريخ دمشق، جـ ٢٦، ص ٣٤٣-٣٤٤؛ ابن الأثير:- الكامل جـ ٣، ص ٤؛ ابن واصل:- تجريد الأغانى للأصفهانى، ق ١ جـ ٢، ص ٦٤٣-٦٤٤؛ المالقى:- التمهيد والبيان، ص ٥٣-٥٤؛ الفاسى:- العقد الثمين، جـ ٧، ص ٤٠٤-٤٠٦. ولاحظ أن اليعقوبى (تاريخ، جـ ٢، ص ١٦٥) قد جعل حادثة الساحر من آخر أخطاء الوليد والتى كانت سبباً مباشراً فى عزله عن الكوفة.

(٢) المسعودى:- مروج، جـ ٢، ص ٣٤٨. وانظر قراءة أخرى لاسم الساحر عند:- البلاذرى:- جـ ٥، ص ٣١؛ اليعقوبى:- جـ ٢، ص ١٦٥.

(٣) الطبرى:- جـ ٤، ص ٢٧٥؛ ابن عساكر:- جـ ٢٦، ص ٣٤٣-٣٤٤؛ ابن الأثير:- جـ ٣، ص ٤؛ المالقى:- ص ٥٣-٥٤. ويبدو أن إقرار ابن مسعود للساحر على نفسه كان على مشهد من الناس بحيث ذكرت المصادر السابقة أن الساحر عرض مهاراته أمامهم كنوع من الإصرار على موقفه. وذكرت روايات أخرى أن الوليد هو الذى شاهد مهارات الساحر كنوع من اللهو، وأن ذلك كان فى صحن المسجد الجامع بالكوفة. انظر:- البلاذرى:- أنساب، جـ ٥، ص ٣١؛ اليعقوبى:- جـ ٢، ص ١٦٥؛ المسعودى:- مروج، جـ ٢، ص ٣٤٨؛ الفاسى:- العقد، جـ ٧، ص ٤٠٧. وممن وافقهم:- د. طه حسين:- الفتنة الكبرى (عثمان) ص ٧٣٤ حيث رفض أن يكون للوليد وابن مسعود دور فى محاسبة الساحر، بل على العكس صرح سيادته بأن الوليد كان من المعجبين بالساحر وأنه كان يسمح له بعرض مواهبه "وغضب لذلك المتزمتون من أهل الكوفة، فعدوا على ذلك المشعوذ المسكين!! فقتلوه. وغضب لذلك الوليد وغضب لذلك عثمان؛ فما ينبغى للناس أن يريقوا الدماء عن غير أمر السلطان ولا أن يريقوها بالظنة"؟!!

وعند هذا الحد، فالقضية من النوع العادى، بدليل عدم إخبار الخليفة عثمان بها، ولكن جماعة المعارضة كان لها رأى آخر. فقد عمد أحدهم ويدعى جندب بن كعب – وقيل بن عبد الله – الأزدى من أزد اليمن، إلى المبادرة بقتل الساحر بنفسه، كى يحرج من مركز الوليد. ونعجب من الطريقة الصاخبة التى أتم بها جندب فعلته، وكذا من طريقة المؤرخين واختلافهم فى إثبات الحادثة منذ الآن. فقد ذهب جندب إلى سياف يدعى معقلاً، كان مولى لأحد رجال الأزد، وطلب منه سيفاً قاطعاً. وفى الطريق التقى بشخص آخر يدعى مصعد التيمى من بنى تيم الله بن ثعلبة (لاحظ كثرة أسماء العشائر العربية)، حيث سأله عن وجهته. فأجابه فى شبه محاضرة أنه يريد قتل "هذا العلج الساحر الذى سحر أميرنا الفاجر العاتى. فإنى والله لقد مثلت الرأى فيهما فظننت إن قتلت الأمير ستوقع بيننا فرقة تورث عداوة. [لاحظ أن هذا فقط هو المانع، بمعنى أن شخص الوليد يستحق القتل] فأجمع رأيى على قتل الساحر". فأيده رفيقه التيمى وأعلن شراكته له فى تحمل التبعة. ثم تابع جندب مسيره حتى "انتهى إلى المسجد"، حيث أكدت بعض الروايات أن الوليد قد سمح للساحر أن يعرض مهاراته فى صحن المسجد، بل كان يستمتع بالمشاهدة!!. واندس جندب بين الحضور، وتمكن من قتل الساحر بضربة فصلت رأسه عن جسده[1].

انقسام الروايات فى تدوين الحادثة

وتسير الروايات واصفة ما حدث بعد ذلك فى خطين متوازيين:- فالطبرى وابن عساكر والمالقى يذكرون أن الوليد بن عقبة وعبد الله بن مسعود اتفقا على حبس جندب، حتى يتبين رأى الخليفة عثمان فى هذا التطور الخطير. ويؤكدون أن رأى ابن مسعود كان

(١) البلاذرى:- أنساب، جـ ٥، ص ٣١-٣٢؛ اليعقوبى:- جـ ٢، ص ١٦٥؛ المسعودى:- مروج، جـ ٢، ص ٣٤٨؛ الفاسى:- العقد، جـ ٧، ص ٤٠٤-٤٠٦. بينما ذكر الأصفهانى (تجريد الأغانى، ق ١ جـ ٢، ص ٦٤٣-٦٤٤) وابن عساكر (تاريخ دمشق، جـ ٢٦، ص ٣٤٤) أن جندباً قتل الساحر مباشرة دون هذه المقدمة. وانظر ترجمة جندب عند كل من:- ابن عبد البر:- الاستيعاب، م ١، ص ٥٨٠-٥٨٥ ترجمة رقم ٣٤٧؛ الذهبى:- سير أعلام النبلاء، جـ ٣، ص ١٧٥-١٧٧؛ ابن حجر:- الإصابة، م ١، ص ٧٢٢ ترجمة رقم ١٢٣٠. حيث التأكيد على دور جندب فى قتل الساحر فقط دونما سياق درامى.

واضحاً جداً فى هذه المشورة، بدليل إجماعهم على ذكر اسمه أولاً:- "فاجتمع عبد الله والوليد على حبسه"[١]. بينما أسهبت الروايات الأخرى فى أن الوليد سمع مقولة رئيس شرطته عبد الرحمن بن خنيس الأسدى – الذى جعلوه كذلك رفيقاً له فى مجالس اللهو والخمر – بوجوب قتل جندب، لأن الساحر ليس آثماً إنما هو "رجل يلعب، فيأخذ بالعين سرعة وخفة". وعندها تحركت عشائر الأزد وزعيمها مخنف بن سليم الأزدى – جد الإخبارى الشيعى الشهير أبى مخنف لوط بن يحيى – رافضين قتل صاحبهم ومهددين بالعصيان. ورد الوليد على ذلك باستنفار عصبيته المضرية. ووفقاً لهذا التصوير، كادت الفتنة تحدث بين الحيين، لولا أن أحد قيادات ربيعة – ويدعى شبث بن ربعى – رفض إجابة الوليد قائلاً:- "لم تدعو مضر؟ تريد أن تستعين بمضر على قوم منعوا أخاهم منك أن تقتله بعلج ساحر كافر من أهل السواد. لا تجيبك والله مضر إلى الباطل وإلى ما لا يحل". وكنوع من الحل الوسط، اقترح الوليد عليهم سجن جندب حتى يأتى فيه رأى الخليفة عثمان، فوافقوا[٢].

بمعنى أن الفريقين من المؤرخين اتفقوا على أن جندب قد تعرض للحبس عشية قتله الساحر حتى يأتى فيه القول الفصل من الخليفة عثمان بن عفان، ولكن شتان الفارق بينهما. ونحن نميل لاعتماد ما ذهب إليه الفريق الأول، لاعتدالهم فى عرض الأحداث. بينما نجد مبالغة واضحة وتهويل مفتعل من أصحاب الاتجاه الآخر الذين لم يكتفوا بما

---

(١) الطبرى:- جـ ٤، ص ٢٧٥؛ ابن عساكر:- جـ ٢٦، ص ٣٤٤؛ المالقى:- ص ٥٤. وراجع:- ابن عبد البر:- الاستيعاب، م ١، ص ٥٨٣؛ ابن حجر:- الإصابة، م ١، ص ٧٢٣-٧٢٤ حيث بعض الاختلاف:- فمثلاً لم يذكرا أية دور للصحابى ابن مسعود فى معالجة أمر الساحر، كما أن ابن عبد البر يؤكد أن جندباً كان معه رفاق آخرون وأنهم تعرضوا للسجن معه كذلك.

(٢) البلاذرى:- جـ ٥، ص ٣٢؛ اليعقوبى:- جـ ٢، ص ١٦٥؛ المسعودى:- جـ ٢، ص ٣٤٨؛ ابن واصل:- تجريد الأغانى للأصفهانى، ق ١ جـ ٢، ص ٦٤٣-٦٤٤. وشبث بن ربعى المذكور فى المتن من بنى يربوع التميميين له ماضٍ بغيض، تمثل فى أنه ارتد مع المرتدين وكان مؤذن لسجاح التميمية التى ادعت النبوة، ثم تاب. وظهر بعد ذلك من الداعين لقتل عثمان بن عفان، ثم كان من شيعة على بن أبى طالب قبل أن ينقلب عليه ويكون من قيادات الخوارج بحروراء، واعتز هو بأنه "أول من حرّ الحرورية". عنه انظر:- ابن حجر:- الإصابة فى تمييز الصحابة، م ٣، ص ٥١٠-٥١١ ترجمة رقم ٣٩٣٧.

قالوه أولاً، بل راحوا ينسجون هالات من القداسة على شخص جندب بن كعب أثناء وجوده بالسجن، بقصد إبرازه فى صورة شهيد الواجب، بل وضعوا حديثاً نبوياً شريفاً عن أنه جندب الخير الذى أكد النبى محمد ﷺ أنه صاحب الضربة التى تفرق بين الحق والباطل، أى قتله الساحر[١]. وابتداءً، زعم هؤلاء أن الوليد حرض على قتل جندب أثناء وجوده بالسجن، أو كما قال المسعودى:- "أراد قتله غيلة (وفى قراءة أخرى:- بحيلة)"[٢]. ولكن السجان – فى زعمهم – وقف موقفاً بطولياً لصالح جندب، مما عرضه لانتقام الوليد. ذلك أنه، ويدعى أبا سنان دينار ووصف بحسن إسلامه، عاين من جندب حسن تدين وعبادة؛ إذ كان يقوم ليله مصلياً ويصوم نهاره، فجعله ذلك يغامر بإطلاق سراح جندب ليلاً كى يبيت ببيته ثم يعود إلى السجن نهاراً. وفى رواية أن السجان أقنع جندباً بمغادرة الكوفة إلى المدينة المنورة لعرض شكواه على الخليفة عثمان، وعبر عن عدم خشيته من الوليد قائلاً:- "ما أسعدنى إن قتلنى، انطلق أنت راشداً". وبالفعل أمر الوليد – فور علمه بهروب جندب – بقتل السجان، وفى رواية أخرى أنه أمر بقتله ثم صلبه كى يكون عبرة للجميع[٣]. واستمراراً لهذا التصوير الدرامى، جعلوا السجان نصرانياً حيث انبهر بصدق عقيدة جندب، وصار يتساءل عن هذا الذى يعده المسلمون مخطئاً ويسجنونه، قائلاً: "والله إن قوماً هذا شرهم، لقوم صدق". ودفعه هذا للاقتناع بالإسلام، وصار يبحث عن أكثر المسلمين تديناً فى الكوفة فوصفوا له الأشعث بن قيس

---

(١) البلاذرى:- جـ ٥، ص ٣١؛ ابن واصل:- تجريد الأغانى للأصفهانى:- ق ١ جـ ٢، ص ٦٤٤. وانظر كذلك: ترجمة زيد بن صوحان العبدى قسيم جندب فى هذا الحديث النبوى الموضوع، عند:- ابن سعد:- الطبقات الكبرى، جـ ٦، ص ٨٤؛ ابن قتيبة:- المعارف، ص ٤٠٢ (وقد أخطأ فجعله جندب بن زهير الأزدى والد الشاب القاتل)؛ الذهبى:- سير أعلام النبلاء، جـ ٣، ص ٥٢٥-٥٢٨ (حيث تجريح لرواة هذا الحديث الموضوع فى هامش تحقيق رقم ١ ص ٥٢٦)؛ ابن حجر:- الإصابة، م ٣، ص ٧٠-٧٢، ترجمة رقم ٣٠٠٤. وانظر الملاحظة المهمة عن عدم وجود هذا الحديث فى كتب صحاح الحديث النبوى الشريف، وإنما فقط فى كتب الطبقات التى ترجمت لجندب وزيد، وذلك فى موسوعة أطراف الحديث التى جمعها أبو هاجر محمد السعيد، مطبوعات عالم التراث للطباعة والنشر، بيروت، ط ١ سنة ١٩٨٩، جـ ٤، ص ٥٠٣.

(٢) المسعودى:- مروج، جـ ٢، ص ٣٤٨.

(٣) البلاذرى:- جـ ٥، ص ٣٢؛ اليعقوبى:- جـ ٢، ص ١٦٥؛ الفاسى:- جـ ٧، ص ٤٠٥-٤٠٦. وانظر:- ابن عبد البر:- الاستيعاب، م ١ ، ص ٥٨٤-٥٨٥ حيث اختلاف كثير فى التفاصيل كأن يقول إن ابن أخى جندب هو الذى قتل الساحر وأطلق سراح عمه جندب.

الكندى ثم جرير بن عبد الله البجلى، غير أنه لم يجدهما فى مثل صدق وعبادة جندب، "فاستقبل السجان القبلة وقال:- ربى رب جندب، ودينى على دين جندب، وأسلم". ومع هذا فقد أعدمه الوليد وصلبه[1]. وهكذا مما لا طائل من وراءه سوى التشنيع على الوليد واستعداء القارئ ضد سياسته فى الحكم ومن كان سبباً فى تعيينه ومتستراً على أخطائه.

رد الخليفة عثمان وعلى العموم فإن الخليفة عثمان قد وصله كتاب الوليد بشأن فعلة جندب، وأنه وعبد الله بن مسعود ارتأيا حبسه حتى يتم الفصل فى أمره. فرد بكتاب جاء فيه أن يجعلوا جندباً يقسم يميناً بالله غير حانث أنه قتل الساحر لعدم علمه بالإجراءات الرسمية المتخذة فى هذا الشأن، ويميناً آخر "إنه لصادق بقوله فيما ظن من تعطيل حده". وتعزيره بتجديد حبسه فترة حددها لهم عقوبة له على تجاهله الإجراءات المتخذة، ثم يطلق سراحه. وإذاعة منشور عام لأهل الكوفة محذراً من تكرار ذلك ومخاطباً إياهم "ألا يعملوا بالظنون، وألا يقيموا الحدود دون السلطان. فإنا نقيد المخطئ ونؤدب المصيب"[2]. بمعنى أن من تسول له نفسه أن يصادر حق الدولة فى اتخاذ ما تراه مناسباً من إجراءات حسماً للمشكلات، فسيتعرض للعقوبة فى الحالين:- إن كان مخطئاً بتجاهله الإجراءات الرسمية المتخذة فسيقتص منه (وهذا معنى قوله:- فإنا نقيد المخطئ). وإن كان مصيباً فسيتم تأديبه (المسمى شرعاً بالتعزير). ولا يخفى علينا الدافع وراء هذا المرسوم، والمتمثل فى رغبة الدولة فى تأكيد حكمها المركزى إلى أبعد الحدود، وحتى لا تترك مثل هذه الأمور ذات الصلة بالشرع لتقدير العوام مخافة الفتنة.

هذا ما يؤكده مؤرخو الفريق الأول، ونراه أكثر مصداقية، عكس التصور الآخر الذى طرحه علينا البلاذرى والفاسى المكى عن خروج جندب بن كعب بمساعدة السجان، من

---

(١) ابن واصل:- تجريد الأغانى للأصفهانى، ق ١ جـ ٢، ص ٦٤٤، ولاحظ طبعاً أن الشخصين المذكورين بالمتن كأعبد أهل الكوفة ورعاً وتديناً إنما هما ممن تمرد على عثمان بن عفان تشيعاً لعلى بن أبى طالب.

(٢) الطبرى:- جـ ٤ ، ص ٢٧٥؛ ابن عساكر:- جـ ٢٦، ص ٣٤٤؛ المالقى:- ص ٥٤. وقد ذكر ابن عبد البر:- (الاستيعاب، م ١، ص ٥٨٢ و ٥٨٣) أن الخليفة عثمان أمر باطلاق سراح جندب فوراً دون ذكر للمرسوم. بينما ذكر ابن حجر:- (الإصابة ، م ١ ، ص ٧٢٤) أن الخليفة عثمان أراد قتل جندب ثم عدل عن ذلك بنفيه إلى المشرق.

الكوفة إلى المدينة المنورة "ولم يزل بها حتى كلم فيه علىّ بن أبى طالب عثمان. فكتب إلى الوليد يأمره بالإمساك عنه، فقدم الكوفة"[١]. هذا فى رواية البلاذرى التى نرى فيها عودة إلى إقحام اسم على بن أبى طالب كشاهد على أخطاء عثمان ورجال إدارته فى الأقاليم. أما عند الفاسى المكى فإن جندباً "لحق بالحجاز، وأقام بها سنين"، حتى قدم المدينة وفد كوفى للقاء الخليفة عثمان، وكان يضم مخنف بن سليم الأزدى وجندب ابن زهير الأزدى، اللذين قصا على الخليفة قصة جندب وأخبراه بظلم الوليد له. بمعنى أن الخليفة عثمان - وفق هذا الزعم – لم يكن يدرى حتى الآن بما حدث، بحيث كتب إلى الوليد:- "أما بعد، فإن مخنف بن سليم وجندب بن زهير شهدا عندى لجندب بن كعب بالبراءة وظلمك إياه. فإذا قدما عليك، فلا تأخذن جندباً بشىء مما كان بينك وبينه!!؟ ولا الشاهدين بشهادتهما. فإنى والله أحسبهما قد صدقا. ووالله لئن أنت لم تعتب ولم تتب لأعزلنك عنهم عاجلاً. والسلام"[٢]. وهى رواية نتمنى لو كانت حقيقية كى تكفى الخليفة عثمان مؤنة الرد على الاتهامات الخطيرة الموجهة له عن تستره على أخطاء ولاته وأبرزهم الوليد بن عقبة.

تصعيد أول للأحداث [المطالبة بعزل الوليد]

وعلى أية حال فإننا نزداد اطمئناناً تجاه استمرار الطريقة المعتدلة لمؤرخى الفريق الأول فى تتبع سير القضية حتى الفصل الأخير. وذلك حينما أكد الطبرى ورفيقاه أن جماعة المعارضة رفضوا قرار الخليفة عثمان بتجديد حبس جندب والتحذير من تكرار فعلته، وارتأوا تسيير وفد منهم إلى المدينة المنورة لعرض مطالبهم عليه شخصياً. وكان هذا الوفد يضم:- أبا خشة – وقيل أبا حبيبة – الغفارى، وجثامة بن الصعب بن جثامة، وجندب بن زهير الأزدى الذين طلبوا من الخليفة مطلباً وحيداً هو عزل الوليد بن عقبة عن ولاية الكوفة[٣]. وهو ما نفاجأ به لأول مرة فى ثنايا هذا البحث، خاصة وأن رواته معتدلون، الأمر الذى يجعلنا نتساءل عن خلفية هذا التطور فى سير الأحداث، وهل كان

---

(١) البلاذرى:- أنساب جـ ٥ ، ص ٣٢.

(٢) الفاسى:- العقد، جـ ٧ ، ص ٤٠٦.

(٣) الطبرى:- جـ ٤ ، ص ٢٧٥؛ ابن عساكر:- جـ ٢٦، ص ٣٤٤؛ المالقى:- ص ٥٤. وعن تصحيح اسم أبى خشة الغفارى، قارن:- البلاذرى :- أنساب، جـ ٥، ص ٣٤ (ولاحظ أن البلاذرى ذكر هذه الشخصيات ضمن الذين شهدوا على الوليد بن عقبة أنه يشرب الخمر).

مثل غيره من الحالات العديدة التى طلب فيها أهل الكوفة عزل ولاتهم السابقين على الوليد. وذلك قبل استعراض رد الخليفة عثمان على هذا المطلب.

وضوح الهوية السبئية على المعارضة

وابتداءً، نلاحظ أن الأمر جد خطير ؛ إذ لا يمكن إغفال التطور المهم الذى انتاب جماعة المعارضة بالكوفة هذه المرة. وأعنى به وضوح الهوية السبئية على معتقداتهم وتحركاتهم منذ الآن، أى أخريات حكم الوليد بن عقبة، وليس كما هو شائع فى كتب التاريخ أن السبئية بدأوا يظهرون فى ولاية سعيد بن العاص الذى خلف الوليد فى حكم الكوفة، وبالتحديد من خلال حادثة النشاستج بالكوفة بعد سنة ٣٠هـ (+ ٦٥١م) والتى يقال إنها الشرارة الأولى لانطلاق أحداث الفتنة الكبرى[1]. يدلنا على ذلك نص فريد عن البلاذرى رأينا لأهميته البالغة أن نلحقه كضميمة بآخر الدراسة. ذلك أنه كشف النقاب صراحة عن العديد من أوجه الارتباط بين المعارضين للوليد بالكوفة وبين المنهج السبئى المعادى للخليفة عثمان بن عفان والداعى لولاية على بن أبى طالب بدلاً منه، وذلك من حيث المخطط التنفيذى، وأسماء القيادات، وعلاقتهم بالإدارة فى الكوفة ورئيسها الوليد بن عقبة.

---

(١) النشاستج : أرض زراعية غنية بإقليم السواد بالكوفة. امتلكها الصحابى الجليل طلحة بن عبيد الله وفق قاعدة جواز مبادلة الأرض التى سنها الخليفة عثمان بن عفان ابتداء من سنة ٣٠ هـ. وقد تملكها مقابل تنازله لأصحابها عن ملكيته لأرض بخيبر. وأصبحت تدر دخلاً كبيراً خصص معظمه الصحابى الجليل للمعوزين، مما جعلها حديث الجميع بالكوفة. وقيل إن حاشية الوالى سعيد بن العاص صاروا يتمنون له امتلاك مثلها حتى يبارى الصحابى طلحة فى الإنفاق، مما أغضب الحضور من جماعة السبئية يقدمهم الأشتر النخعى الذى قال للوالى سعيد: "أتزعم أن السواد الذى أفاءه الله علينا بأسيافنا ملك لك ولقومك من قريش". وأوسعوا ضرباً من جامل الوالى بتلك الأمنية. وقد انتهى الحال بهؤلاء أن أصبحوا حجر عثرة ضد الوالى سعيد، حتى أمر الخليفة عثمان بترحيلهم إلى الشام حيث تولى معاوية بن أبى سفيان إقراراهم على خطئهم ثم أعلنوا توبتهم أمام عبد الرحمن بن خالد بن الوليد والى حمص. وهكذا استمروا بين أخذ ورد، وشاعت فعلتهم فى الأقاليم وأصبحت نموذجاً احتذاه زملاؤهم السبئية فى البصرة والشام ومصر. عن ذلك انظر:- سيف بن عمر :- الفتنة ووقعة الجمل، ص ٣٥ – ٤١؛ الطبرى:- جـ ٤، ص ٣١٧-٣٢٢ . وراجع:- أبا بكر بن العربى :- العواصم، هامش تحقيق رقم ١ ، ص ١١٦-١١٩.

* ففى البداية، ذكر البلاذرى أنه نقل الخبر عن راويه الشيعى المعروف أبى مخنف لوط ابن يحيى[١] – حفيد مخنف بن سليم الأزدى أحد المعارضين الرئيسيين للوليد وللخليفة عثمان – والذى استهله بفضح المخطط التنفيذى للسبئية الداعى للطعن فى كفاءة الخليفة عثمان وضرورة خلعه والبيعة لعلى بن أبى طالب بدله. وذلك فى قوله:- "قال أبو مخنف فى إسناده:- لما شاع فعل عثمان وسارت به الركبان، كان أول من دعى إلى خلعه والبيعة لعلى ..."[٢].

* ثم أعلن أسماء القادة الذين حملوا راية العصيان، وهم:- عمرو بن زرارة بن قيس ابن الحارث ابن عمرو بن عداء النخعى، وكميل بن زياد بن نهيك بن هتيم النخعى، وثالثهم الأشتر مالك بن الحارث النخعى، يعنى من قبيلة نخع اليمنية[٣]. فازداد بذلك الرصيد التآمرى لزعماء العشائر من اليمنية، إلى جانب من عرفنا من قيادات الأزد، وغيرهم.

* أن المنهج السبئى فى الطعن على الخليفة عثمان بطريقة غير مباشرة من خلال الطعن على الولاة فى الأقاليم، وإظهار الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وإذاعة ذلك بين الناس

---

(١) هو أبو مخنف لوط بن يحيى (ت ١٥٨ هـ) شيخ إخبارى الكوفة وصاحب السير والتواريخ. من بيت كبير بالكوفة، لعب أفراده دوراً كبيراً فى القتال إلى جانب على بن أبى طالب. وهو من أعاظم مؤرخى الشيعة، وضعفه علماء الحديث النبوى الشريف وقالوا:- إنه شيعى محترق صاحب أخبارهم، وإنه الكوفى الرافضى، وإنه يروى عن طوائف من المجهولين. عنه انظر:- الإمام أبا الحسن الدارقطنى:- كتاب الضعفاء والمتروكين، حققه وعلق عليه السيد صبحى البدرى، مطبوعات مؤسسة الرسالة ببيروت ط. ١ سنة ١٩٨٤ ، ص ١٤٦ مسلسل رقم ٤٤٩؛ ابن كثير:- البداية والنهاية، م ٤ جـ ٨ ، ص ٧٣١؛ ابن حجر:- لسان الميزان، منشورات مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، ببيروت ط. ٣ سنة ١٩٨٦ ، جـ ٤ ، ص ٤٩٢ – ٤٩٣. وراجع:- د. عدنان ملحم : المؤرخون العرب والفتنة الكبرى، ص ٢٧-٢٩ و ٧٠-٧١ حيث دراسة وافية عن أبى مخنف ومنهجه فى الكتابة ومجموع الروايات التى أخذها عنه قدامى المؤرخين كالبلاذرى والطبرى.

(٢) البلاذرى:- أنساب ، جـ ٥ ، ص ٣٠. وعن المخطط السبئى وكيفية تنفيذه بالاعتماد على مكاتبة "من كان استفسد فى الأمصار". انظر:- سيف بن عمر:- المصدر السابق، ص ٤٨ – ٤٩؛ الطبرى:- جـ ٤، ص ٣٤٠-٣٤١.

(٣) البلاذرى:- المصدر والصفحة. ويعد هذا انعكاساً حقيقياً لما لاحظه محقق كتاب العواصم (هامش تحقيق رقم ١ ص ٥٨) من أن اليمنية كانوا الهيئة الثانية الأكثر نشاطاً، من الهيئات الثمانية التى تشكل منها الألف وثمانمائة متمرد ضد الخليفة عثمان. (انظر ما سبق ص ١ هامش ٥).

قد وضح فى قول عمرو بن زرارة:- "أيها الناس، إن عثمان قد ترك الحق وهو يعرفه. وقد أغرى بصلحائكم، يولى عليهم شراركم"(١).

* أن النص أثبت عجز الوليد بن عقبة عن مواجهتهم مرتين:- فهو لم يعرف من أمرهم شيئاً حتى أخبره جاسوس يدعى خالد بن عرفطة بن أبرهة بن سنان العذرى، حليف بنى زهرة، بما يدبرونه. بمعنى أنه لولا الخلاف العرقى بين الجاسوس وبينهم – فهو قيسى وهم يمنية – لما خانهم بنقل أسرارهم إليه. كما أن الوليد لم يتعامل بحكمة وتعقل معهم؛ إذ إنه حشد لقتالهم لولا نصيحة غالية أعادته إلى صوابه، فقد قيل له:- "الأمر أشد من ذلك، والقوم مجتمعون. فاتق الله ولا تسعّر الفتنة"(٢).

* أن شعار "التقية" أو الاستتار من شعارات السبئية، قد وضح فى تلوّن دور الأشتر مالك بن الحارث النخعى الذى هو أحد الداعين لفكر السبئية وتهييج الناس، ثم نراه يظهر فى النص بدور الحكيم المتعقل والناصح الأمين للوليد بعدم اللجوء للحل العسكرى، قائلاً:- "أنا أكفيك أمرهم... فأتاهم فكفهم وسكنهم وحذرهم الفتنة والفرقة، فانصرفوا"(٣).

* أنهم كانت لهم خطط متكاملة لتصعيد الأحداث، وذلك بالرد على أى إجراء تتخذه الدولة ضدهم، مما يدل على أن الأمر لم يعد أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر كما يدعون. فقد ورد فى النص أن الوليد بن عقبة كتب إلى الخليفة عثمان بما كان من عمرو بن زرارة، فأمر بنفيه إلى الشام واصفاً إياه بالأعرابى الجلف. فخرجوا فى شبه مظاهرة لتوديعه عند خروجه من الكوفة حيث كانت فرصة لظهور أسماء جديدة لقيادات السبئية غير السابقين، مثل:- الأسود بن يزيد بن قيس وعمه علقمة بن قيس بن زيد وقيس بن فهدان ابن سلمة الكندى الذى أخذته الحمية فأنشد شعراً يعرض بالوليد وبالخليفة عثمان، قائلاً(٤):

---

(١) البلاذرى:- المصدر والصفحة.

(٢) البلاذرى:- نفسه والصفحة. وخالد بن عرفطة ممن تأكدت صحبته للنبى محمد صلى الله عليه وسلم. وقد حارب فى القادسية، واستخلفه سعد بن أبى وقاص على الكوفة بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب عنه انظر:- ابن حجر:- الإصابة، م ٢، ص ٣٦٥-٣٦٦.

(٣)و (٤) البلاذرى:- المصدر والصفحة. ولاحظ أن الوزن الشعرى فى البيت الأول مختل، لأن الكلمة الأخيرة فيه كانت أصلاً "وعلانية". فصوبناها عن:- مهدى عبد الحسين النجم:- مالك بن الحارث الأشتر، مطبوعات دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت ط ١ سنة ١٩٩٨، ص ٢٩.

أقسم بالله رب البيت مجتهداً أرجو الثواب به سراً وإعلانا
لأخلعن أبا وهب وصاحبه كهف الضلالة عثمان بن عفان

تصعيد أخير للأحداث [شهادة الزور]

وعلى العموم، فإن هذه الروح السبئية لدى جماعة المعارضة قد وضحت فى ردهم على رفض الخليفة عثمان إجابة طلبهم بعزل الوليد بن عقبة عن ولاية الكوفة. رغم أنه أقام الحجة الشرعية على خطأ مسلك أبى خشة – أو أبى حبيبة – الغفارى، وجثامة بن الصعب، وجندب بن زهير، قائلاً:- "تعملون بالظنون، وتخطئون فى الإسلام، وتخرجون بغير إذن. ارجعوا"(١). ذلك أنهم رجعوا إلى الكوفة عاقدين العزم بطريقة محمومة على إنجاح مسعاهم حيث " لم يبق موتور فى نفسه إلا أتاهم، فاجتمعوا على رأى فأصدروه"(٣). وهكذا خرجت إلى الوجود حادثة شهادة الزور الشهيرة التى نجحوا من خلالها فى إلصاق تهمة شرب الخمر بالوليد بن عقبة، ووصلت ذروتها بإقامة الحد عليه وعزله عن ولاية الكوفة سنة ٣٠هـ (٦٥١م) ثم اعتزاله الحياة العامة بعد ذلك حتى وفاته، كما سنرى.

أول الخيط تمثلت جهود المعارضة السبئية للإطاحة بالوليد بن عقبة فى العمل بطريقة جماعية منظمة لنسج خيوط التآمر ضده فى شكل شهادة زور يستطيع من خلالها كل منهم الإضافة إلى جهد من سبقه. وهكذا، حتى تمخض الأمر عن إقامة الأركان الكاملة لتلك الشهادة التى جعلها الشرع الحكيم من السبع الموبقات، لما يترتب عليها من الإيقاع بالمدعى عليه وإن كان بريئاً. أما الخيط الموجود لديهم فكان يتمثل فى طريقة الوليد

---

(١)و (٢) الطبرى:- ج ٤، ص ٢٧٥؛ ابن عساكر:- ج ٢٦، ص ٣٤٤؛ ابن الأثير:- ج ٣، ص ٤؛ المالقى:- ص ٥٤.

(٣) انظر ما سبق (ص ٢٥ هامش رقم ٢). وقد ورد فى صحيح البخارى أن الخليفة عمر بن الخطاب بعد أن طُعن وأراد الطبيب الاطمئنان على خطورة الطعنة سأله أى الشراب أحب إليه، فأجاب النبيذ. "فأتى بنبيذ فشربه فخرج من جوفه..فعرفوا أنه ميت". انظر: ابن حجر:- فتح البارى بشرح صحيح البخارى، م ١١ (كتاب فضائل أصحاب النبى، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفان، وفيه مقتل عمر) حديث رقم ٣٧٠٠، ص ٩. وانظر: تعليق ابن حجر على هذا الحديث بأن "المراد بالنبيذ المذكور تمرات نبذت فى ماء، أى نقعت فيه. كانوا يصنعون ذلك لاستعذاب الماء".

فى تمضية أوقاته الخاصة فى منزله بعد انتهاء ساعات العمل، بمعنى أن نقطة الضعف لم تكن فى أمر من أمور الحكم (سياسة أو اقتصاد أو اجتماع أو إدارة ... إلخ). ذلك أن ما رجحناه سابقاً عن ميل الوليد لشرب النبيذ كمشروب شاع استخدامه فى بعض الأوساط حينذاك كمسهل للهضم وليس بمسكر[١]،قد استفز أولئك السبئية الجدد للترويج بأنه خمر يوجب الحد. كما أنهم صعدوا هجومهم على الوليد وجعلوه سكيراً لا يفيق حتى عند دخوله المسجد الجامع كى يؤمهم فى الصلاة. وحكت الروايات فى هذا الشأن الكثير والكثير. وأغلب الظن أنهم استلهموا فى ذلك تفاصيل الحادث الذى سبق وقوعه لقدامة ابن مظعون والى البحرين الذى عزله الخليفة عمر بن الخطاب وأقام عليه حد الخمر لثبوت الشهادة عليه[٢].

إحكام التخطيط بيد أننا نعترف لهم بدقة شديدة فى التخطيط؛ إذ نجدهم فى الكوفة يطلقون لأنفسهم العنان فى التقول على الوليد بمبالغة واضحة، بهدف إثارة مشاعر جميع من بالكوفة. بينما فى المدينة المنورة وعند عرض الشهادة أمام الخليفة عثمان فهم حذرون للغاية فى طريقة أدائها أو فى مطالبتهم الخليفة بإقامة الحد عليه، كما سنرى. ومن المؤكد أن هذا هو السبب فى انقسام الروايات على نفسها فى تحديد أصل التهمة التى اتهم بها الوليد، وبخاصة فى مسألة كونه صلى بالناس فى المسجد وهو سكران:- ما بين راوٍ يجزم بحدوثها بحيث أوردها فى غير موضع وبتفاصيل مثيرة، وبين ثانٍ يذكرها سريعاً مؤكداً نقلها عن

---

(٤) انظر ترجمة قدامة بن مظعون وتفاصيل الشهادة عليه وعزله وإقامة الحد عليه، عند:- ابن عبد البر:- الاستيعاب، م ٥، ص ٤٤٩-٤٥٤ ترجمة رقم ٢١٣٢؛ ابن حجر:- الإصابة، م ٥، ص ٦٣٤-٦٣٧ ترجمة رقم ٧١١٠. انظر ترجمة قدامة بن مظعون وتفاصيل الشهادة عليه وعزله وإقامة الحد عليه، عند:- ابن عبد البر:- الاستيعاب، م ٥، ص ٤٤٩-٤٥٤ ترجمة رقم ٢١٣٢؛ ابن حجر:- الإصابة، م ٥، ص ٦٣٤-٦٣٧ ترجمة رقم ٧١١٠.

(٥) البلاذرى:- أنساب، جـ ٥ ، ص ٣٢ و ٣٣ و ٣٤ (خمسة مواضع لهذه الحادثة)؛ المسعودى:- مروج، جـ ٢، ص ٣٤٤ (موضعان بتفاصيل مختلفة فى أصل التهمة، وباختلاف كذلك عن ذات الرواية التى أوردها البلاذرى، رغم اشتراكهما فى أخذها عن راوٍ واحد هو أبو مخنف لوط بن يحيى)؛ ابن واصل:- تجريد الأغانى للأصفهانى، ق ١ جـ ٢، ص ٦٤٠ و ٦٤١ (موضعان بتفاصيل مختلفة).

آخر بطريقة "والعهدة على الراوى"[١]، وبين ثالثٍ لا يذكرها البتة وإنما يذكر فقط أن الوليد قد اتهم بشرب الخمر[٢]. ونحن نشترك مع الفريق الثالث فى نفى جزئية صلاة الوليد وهو سكران، استناداً لتأكيد جميع الرواة أنها لم تطرح أصلا أمام الخليفة عثمان بالمدينة المنورة. كما أن المنطق يؤكد أن أحداً من خاصة أهل الكوفة أو عامتهم لم يكن ليسمح للوليد بذلك، ناهيك عن تفنن الروايات التى أوردتها فى ذكر تفاصيل دقيقة تتعارض مع بعضها.

نقطة البدء فى التحرك أما عن التحرك الفعلى للمعارضة السبئية، فنفهم من اختلاف الروايات أنه سار فى اتجاهين:- محاولة التلصص على حياة الوليد الخاصة، وهو ما أكده الطبرى الذى فور فراغه من قضية الساحر وجندب وإشارته إلى اجتماعهم على رأى فأصدروه، قال مباشرة:- "ثم تغفلوا الوليد"[٣]. ونجد أن من سار فى هذا الاتجاه من

---

(١) ابن شبة:- تاريخ المدينة المنورة، جـ ٣، ص ٩٧٥-٩٧٦ (رواية شعر الحطيئة أن الوليد صلى وهو سكران)؛ ابن قتيبة:- المعارف، ص ٣١٩؛ اليعقوبى:- تاريخ، جـ ٢، ص ١٦٥؛ ابن عبد البر:- الاستيعاب، م ٦، ص ٣٣٠ و ٣٣١؛ ابن عساكر:- تاريخ دمشق، جـ ٢٦، ص ٣٤٢ (رواية الحضين بن المنذر أبى ساسان عن صلاة الوليد وهو سكران)؛ الذهبى:- سير أعلام النبلاء، جـ ٣، ص ٤١٤ (رواية الحضين بن المنذر)؛ الفاسى المكى:- العقد، جـ ٧، ص ٤٠١ (كرر رواية ابن شبة عن شعر الحطيئة)؛ ابن حجر:- تهذيب التهذيب (طبعة دار الفكر)، جـ ١١، ص ١٢٦ (نقل رواية ابن عبد البر)، والإصابة، م ٦، ص ٧١٨ (رواية الزبيرى النسابة).

(٢) ابن السائب الكلبى:- جمهرة النسب، ص ٥٢؛ ابن سعد:- الطبقات الكبرى، جـ ٦، ص ١٥؛ خليفة: طبقات خليفة، ص ١١ و ١٢٦ و ١٨٩ و ٣١٨؛ ابن شبة:- تاريخ المدينة، جـ ٣، ص ٩٧٢ و ٩٧٣ و ٩٧٨ (رواية الحضين بن المنذر وليس فيها صلاة الوليد وهو سكران إنما شهادة الشهود أن الوليد شرب الخمر فقط)؛ ابن أعثم الكوفى:- كتاب الفتوح ، جـ ٢، ص ١٦٧؛ (نص الشهادة أمام عثمان أن الوليد شرب الخمر)؛ الطبرى:- تاريخ، جـ ٤، ص ٢٧٥-٢٧٧؛ ابن الجوزى:- المنتظم، جـ ٥، ص ٧؛ ابن عساكر:- تاريخ دمشق، جـ ٢٦، ص ٣٣٦ (روى فقط شائعة شرب الوليد للخمر، ورفض الأبيات الشعرية عن صلاة الوليد وهو سكران أن تكون من قول الحطيئة)؛ الفاسى المكى:- العقد، جـ ٧، ص ٤٠٠ و ٤٠١ و ٤٠٣ (حيث رفض أن يكون الحطيئة هو قائل الأبيات عن صلاة الوليد وهو سكران، وروايته عن آخرين أن أصل التهمة أنه شرب الخمر فقط)؛ ابن حجر:- تهذيب التهذيب (طبعة دار الفكر) جـ ١١، ص ١٢٦ (حيث اعتمد رواية الطبرى الخالية من أى تهويل بل رصد لأركان الشهادة الزور دونما ذكر لصلاة الوليد وهو سكران)؛ وأيضاً لذات المؤلف:- تقريب التهذيب، ص ٥٨٣. ولاحظ أن:- د. طه حسين (الفتنة الكبرى عثمان، ص٧٣٣) قد نفى بشدة تهمة صلاة الوليد بالناس وهو سكران، رغم تأكيد سيادته على شربه الخمر ورقة دينه.

(٣) الطبرى:- جـ ٤، ص ٢٧٥؛ ابن عساكر:- جـ ٢٦، ص ٣٤٤.

المؤرخين يتدرج بعد ذلك إلى القول بأن هذا التلصص أتى بدليل مادى مكن المعارضين من إحكام شهادتهم أمام الخليفة عثمان فيما بعد بشأن اتهام الوليد بشرب الخمر. ورغم اختلافنا مع هذا الاتجاه لاحتوائه على مبالغات موسومة بحمى التجسس المحظور شرعاً، فإننا نراه أكثر منطقية من الاتجاه الآخر الذى يحاول تشويه صورة الوليد بمغالاة شديدة لا يقرها عقل أو منطق، وذلك من خلال تنافس كل من البلاذرى واليعقوبى والمسعودى والأصفهانى فى جعل مجون الوليد وخلاعته وخروجه للصلاة بالناس وهو سكران هو الذى دفع المتلصصين لفعل ذلك حتى يحصلوا على بغيتهم[1]!!. وهو ما نراه منطقاً غريباً ودفاعاً عمن تجسس على الوليد فى حياته الخاصة. ونرى لزاماً علينا تتبع كلا الاتجاهين لنرى كيف تم إحكام هذا المخطط السبئى للإيقاع به.

المحـــور الأول [عمليات التلصص]

ففـى البداية تطالعنـا الروايات أن من قام بالتلصص على الوليد هو أبو زينب زهير بن عوف الأزدى وأبو مورع الأسدى. يعنى أنهما من قدامى المحرضين ضده لقتله ولديهما قصاصاً فى جريمة القتل الشهيرة. بينما لم يظهر هذه المرة دور لثالثهم جندب بن زهير الأزدى، تعبيراً عن دقة التخطيط؛ إذ إنه أصبح ورقة مكشوفة بعد مشاركته فى الوفد المطالب بخلع الوليد أمام الخليفة عثمان، كما سبق القول. ورغم هذه العلاقة القديمة بين الاثنين، فإن البلاذرى يصف اشتراكهما فى التماس غرة الوليد بالعفوية والصدفة البحتة، وأنه رداً على شيوع مجون الوليد واستهتاره بالدين. يقول عن أبى مخنف:- "لما صلى الوليد بالناس وهو سكران، أتى أبو زينب زهير بن عوف الأزدى صديقاً له من بنى أسد يقال له مورع [أبا مورع] فسأله أن يعاونه على الوليد فى التماس غرته..." [2] وعلى العموم فإن

---

(١) البلاذرى:- جـ ٥، ص ٣٢ و ٣٣ و ٣٤؛ اليعقوبى:- جـ ٢، ص ١٦٥؛ المسعودى جـ ٢ ، ص ٣٤٤-٣٤٥؛ ابن واصل:- تجريد الأغانى للأصفهانى، ق ١ جـ ٢، ص ٦٤٠. ونذكر ما سبق ملاحظته (ص ٢٣ هامش رقم ٤). عن علاقة الوليد بالشاعر أبى زبيد وأن الدكتور طه حسين رأى فيها ما يشين ويعطى الحق للتجسس على شئونه الخاصة، وذلك رغم أن سيادته نفى مسألة صلاة الوليد وهو سكران.

(٢) البلاذرى:- جـ ٥، ص ٣٣.

الاثنين كانا طليعة لآخرين يوجهونهما ويشيرون عليهما فيما يستجد من أمور، وهؤلاء ظهر منهم:- عبد الله بن جبير الأسدى، وعقبة بن يزيد البكرى، وغيرهما[١].

وتشير بعض الروايات إلى أن المتلصصين عانوا كثيراً للحصول على بغيتهم، مما جعلهم يدفعون رشوة للبواب عبارة عن دينار ذهبى أعطاه له أبو زينب، حسبما أكد البلاذرى[٢]. واضطروا كذلك لتصنع منادمة مع الوليد أو بعض حاشيته، بحيث سهر أبو زينب وأبو مورع عنده ليلة بأكملها حتى حصلا على ما يريدانه[٣]. ووفقاً لهذا، فإن الوليد إما كان حذراً للغاية فى التكتم على نزواته، وإما بريئاً فعلاً كما دافع هو عن نفسه فى حواره الغاضب مع ابن مسعود قائلاً: "على أى شىء أستتر به، إنما يقال هذا للمريب". خاصة وهناك إجماع بين الروايات أنه طيلة فترة ولايته بالكوفة لم يتخذ باباً لقصره، فضلاً عن حاجب أو بواب.

المحور الثانى [القول بصلاة الوليد وهو سكران]

ويبدو أن العنت الذى واجهوه فى العثور على دليل مادى من داخل بيت الوليد، كان دافعاً لهم كى يفتحوا محوراً جديداً يشحذون من خلاله هممهم ويستَعْدون أكبر عدد من أهل الكوفة ضده. وإلا فما تفسيرنا لوجود هذا الكم من الروايات عن كثرة مجون الوليد وخلاعته وجرأته فى الخروج للصلاة بالناس فى المسجد الجامع بالكوفة وهو سكران. وهو المحور الذى تنافس رواته فى جعل الوليد يجاهر بذلك منذ توليه الكوفة[٤]، بل أكثروا من الخوض فيه بتفاصيل متعارضة. فجعلوه تارة يصلى الصبح ركعتين ثم يلتفت إلى المصلين سائلاً إن كانوا يريدون زيادة فى الركعات، فشتمه عتاب بن علاق، أحد بنى عوانة بن سعد، ورماه فى وجهه بكف من حصى. وقال جماعة من المصلين حينذاك:-

---

(١) ابن شبة:- جـ ٣، ص ٩٧٢؛ الطبرى:- جـ ٤، ص ٢٧٥ (الذى يذكر وجود أعوان لأبى زينب وأبى مورع دون تحديد).

(٢) أنساب الأشراف، جـ ٥، ص ٣٣..

(٣) ابن شبة:- جـ ٣، ص ٩٧٢ (حيث يصف ذلك قائلاً:- فسألا عنه، وتلطفا حتى علما أنه يشرب)؛ الطبرى:- جـ ٤، ص ٢٧٥.

(٤) اليعقوبى:- جـ٢، ص ١٦٥؛ ابن واصل:- تجريد الأغانى للأصفهانى، ق ١ جـ ٢، ص ٦٤٠ حيث أوردا خبر صلاة الوليد وهو سكران بعد خبر تولية الكوفة مباشرة.

"والله ما العجب إلا ممن ولاك". ويختم البلاذرى صاحب هذه الرواية حديثه منوهاً بفضل هذا الثائر عتاب وأنه معدود منذ أيام عمر بن الخطاب فى طبقة الأشراف الذين هم أقارب النبى محمد ﷺ، حتى إنه كان يأخذ مثل عطائهم[١].

ثم عاد لرواية الحادثة تارة أخرى – دون ذكر المصدر هذه المرة – مؤكداً "أن القىء غلب على الوليد فى مكانه. وقال يزيد بن قيس الأرحبى ومعقل بن قيس الرياحى (من قيادات السبئية أثناء حصار عثمان بن عفان):- لقد أراد عثمان كرامة أخيه بهوان أمة محمد ﷺ". وختمها بأبيات الشعر المنسوبة خطأ للحطيئة فى هجاء الوليد وإثبات صلاته بالناس وهو سكران[٢]. ولم يخل الأمر ثالثة من إعادة روايتها بطريقة مرور الكرام، وذلك عندما عمد البلاذرى إلى سرد الحادثة عموماً وبدون تفاصيل، وسبق ذلك بقوله (بطريقة توحى بحياده ونزاهته):- "قالوا:- ولم يكن بسيرة الوليد فى عمله بأس، ولكنه كان فاسقاً مسرفاً على نفسه". ثم ختم هذا السرد السريع لصلاة الوليد وهو سكران دون تفاصيل جانبية للحادثة، بالقول بأن ذلك جعل أحد المصلين – لم يذكر اسمه – يأخذ على عاتقه الذهاب إلى المدينة المنورة حيث نقل ذلك إلى الخليفة عثمان الذى استدعى الوليد وأقام عليه الحد[٣].

ونجد المسعودى يروى ذات الحادثة، ولكن بتفاصيل أخرى تستفز القارئ، دون تحديد الراوى الأصلى، فجعل الوليد يشرب مع ندمائه ومغنيه من أول الليل إلى الصباح، "فلما آذنه المؤذنون بالصلاة خرج متفضلاً فى غلائله، فتقدم إلى المحراب فصلى بهم أربعاً [وليس ركعتين] وقال:- أتريدون أن أزيدكم؟". وأضاف أن الوليد أطال فى سجوده وسمعوه وهو يقول:- "اشرب واسقنى". فرد عليه عتاب ابن غيلان الثقفى [لاحظ الاختلاف فى ذكر الاسم] هازئاً، ولم يرم بكف الحصى فى وجهه إلا بعد أن "خطب الناسَ الوليدُ". [وهى كلمة توحى بصعود الوليد المنبر رغم أن الوقت هو صلاة الصبح، كدليل على شدة سكره، أو أن الحادثة تكررت أثناء صلاة الجمعة ذات الحضور الجماهيرى

---

(١) البلاذرى:- أنساب، جـ ٥، ص ٣٢ (رواية أبى مخنف).
(٢) المصدر نفسه، ص ٣٢ – ٣٣.
(٣) نفسه والصفحة.

الكبير]. وختم بجعل الوليد لا يأبه بما حدث "فدخل قصره يترنح ويتمثل بأبيات لتأبط شراً:

ولست بعيداً عن مدام وقينة ولا بصفا صلد عن الخير معزل
ولكننى أروى من الخمر هامتى وأمشى الملا بالساحب المتسلسل"

وارتأى المسعودى من نافلة القول أن يذكر هو الآخر أبيات الشعر المنسوبة خطأً إلى الحطيئة الشاعر فى ذم الوليد[١].

وجاءت رواية الأصفهانى لتؤكد انغماس الوليد فى الخمر والصلاة بالناس وهو سكران، وذلك بعد ذكر خبر توليته الكوفة مباشرة وتصادمه مع واليها السابق سعد بن أبى وقاص، ليوحى لنا كغيره أنها كانت عادة للوليد. كما حوت الرواية تفاصيل دقيقة عن صلاة الوليد الغداة [يعنى بعد شروق الشمس] أربع ركعات، ثم سألهم فى سكره البين إن كانوا يريدون زيادة الركعات، فأجابه الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود!!؟ هازئاً:- "ما زلنا معك فى زيادة منذ اليوم". وبعد أن استشهد الأصفهانى بأبيات الشعر المنسوبة للحطيئة فى تأكيد تلك التهمة، ذكر مباشرة أن الوليد كان قد "تقيا فى المحراب وقرأ فى الصلاة رافعاً صوته:-

علق القلب الربابا بعد ما شابت وشابا"[٢]

ورغم تفرد الأصفهانى فى بعض التفصيلات، إلا أننا نرى تطابقاً فى روايته مع ما ذكره اليعقوبى من حيث صلاة الوليد الغداة "أربع ركعات، ثم تهوع [أى تقيأ] فى المحراب والتفت إلى من كان خلفه فقال:- أزيدكم"[٣].

إفلاس رغم التحايل وعلى العموم، فإن هذا المد المتصاعد فى اتهام الوليد بالخلاعة والمجون والصلاة وهو سكران، لم يكن سوى للاستهلاك المحلى أى على مستوى الكوفة فقط. كما أن مؤرخى هذا الاتجاه أنفسهم قد اعترفوا بأن أسلوب التلصص على الحياة

(١) المسعودى:- مروج، جـ ٢، ص ٣٤٤.
(٢) ابن واصل:- تجريد الأغانى للأصفهانى، ق ١، جـ ٢، ص ٦٤٠-٦٤١.
(٣) اليعقوبى:- تاريخ، جـ ٢، ص ١٦٥.

الخاصة بالوليد وتصنع محبته والتودد إلى حاشيته هو الذى أدى إلى عثورهم على بغيتهم. بل نراهم غالوا فى ادعاء أبيات شعرية قيل إن الحطيئة – وهو جرول بن أوس بن مالك ابن جؤية العبسى – قد هجا فيها الوليد وأثبت صلاته وهو سكران. بينما العكس هو الصحيح؛ إذ إن الحطيئة كان معاصراً للوليد أثناء إمرته على الكوفة وزاره مادحاً بقصيدة أثنى د. طه حسين على جودتها[1] . والأبيات المنحولة هى[2]:

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه ... أن الوليد أحق بالعذر
نادى وقد نفدت صلاتهم ... أأزيدكم؟ ثملاً وما يدرى
ليزيدهم خيراً، ولو قبلوا ... منه، لزادهم على عشر
فأبوا – أبا وهب – ولو فعلوا ... لقرنت بين الشفع والوتر
حبسوا عنانك إذ جريت ولو ... خلوا عنانك ، لم تزل تجرى

أما أصل الأبيات التى تم معارضتها بالسابقة كذباً وافتراءً، فقد صاغها الحطيئة فى مدح الوليد أثناء محنته، ملتمساً له العذر ومؤكداً أن الأمر محض افتراء عليه، وهى[3]:-

شهد الحطيئة حين يلقى ربه ... أن الوليد أحق بالعذر
خلعوا عنانك إذ جريت ولو ... تركوا عنانك لم تزل تجرى
ورأوا شمائل ما جد متبرع ... يعطى على الميسور والعسر
فنُزِعتَ مكذوباً عليك ولم ... تردد إلى عوز و لا فقر

(١) د. طه حسين:- الفتنة الكبرى (عثمان)، ص ٧٣٤. وقد أورد ثلاثة عشر بيتاً أنشدها الحطيئة فى مدح أبرز صفتين رآهما فى الوليد:- الجهاد والكرم.

(٢) ابن شبة:- تاريخ المدينة المنورة، جـ ٣، ص ٩٧٥-٩٧٦؛ البلاذرى:- أنساب، جـ ٥، ص٣٢-٣٣؛ ابن عبد البر:- الاستيعاب، م ٦، ص ٣٣١؛ ابن واصل:- تجريد الأغانى للأصفهانى، ق ١ جـ ٢، ص ٦٤٠.

(٣) د. طه حسين:- المرجع السابق، ص ٧٣٣. وممن أثبت كذب هذه الأبيات كذلك:- ابن عساكر:- تاريخ دمشق، جـ ٢٦، ص ٣٣٦؛ الفاسى:- العقد، جـ ٧، ص ٤٠٠. وانظر كذلك:- أبا بكر بن العربى:- العواصم من القواصم، هامش تحقيق رقم (١) ص ٩٤-١٠٠ وبخاصة ص ٩٨-٩٩.

وقد ثبت كذلك مدى الخطأ فى نسبة أبيات أخرى للحطيئة فى هجاء الوليد وإثبات صلاته وهو سكران، وهى[١]:-

تكلم فى الصلاة وزاد فيها ... علانية وجاهر بالنفاق
ومج الخمر عن سنن المصلى ... ونادى والجميع إلى افتراق
أزيدكم على أن تحمدونى ... فما لكم ومالى من خلاق

الحلقة الأخيرة ثم جاءت الحلقة الأخيرة بتلاقى جميع الخطوط فى مصب واحد يصور نجاحهم فى الحصول على خاتم الإمارة الخاص بالأمير الوليد، كدليل مادى لتقديمه إلى الخليفة عثمان. وذلك بعد أن أحكموا خطتهم ببقاء مجموعة خارج قصر الإمارة، منهم جندب بن زهير الأزدى، وزياد بن علاقة التميمى وآخرون، بينما دخل أبو زينب الأزدى وأبو مورع الأسدى مع السامرين من حاشية الوليد[٢]. وبطبيعية لا تتناسب وجو الأحداث، انصرف الوليد إلى مخدعه تاركاً لضيوفه حرية البقاء فى مجلسهم. ووفقاً للخطة كان آخر من انصرف أبو زينب وأبو مورع، حيث انسلا إلى مخدع الوليد وأخذا خاتم الإمارة، ثم أسرعا بالخروج حيث سهل لهما أعوانهما مغادرة الكوفة فوراً إلى المدينة المنورة. وفور استيقاظ الوليد لاحظ ضياع الخاتم، فسأل خاصته، فأجابته امرأتاه (إحداهما تدعى بنت الربيع بن ذى الخمار، والأخرى بنت أبى عقيل) بتفاصيل ما شهدتا من وراء الستار، وأوصاف الرجلين اللذين اقتربا من مخدعه، وأنه كان نائماً ولم ينتبه لهما، فعرف هويتهما وأمر باستدعائهما، لكن الوقت قد فات[٣]. ويبدو أن الطبرى – صاحب هذا التصور – أراد أن ينفى عن الوليد كونه ساذجاً ومفتقداً ما للحاكم من فطنة وذكاء، حتى يفقد خاتم

---

(١) د. طه حسين:- المرجع السابق، ص ٧٣٣-٧٣٤. وانظر:- ابن شبة:- تاريخ المدينة المنورة، جـ ٣ ص ٩٧٦؛ ابن واصل:- تجريد الأغانى للأصفهانى، ق ١ جـ ٢، ص ٦٤١؛ ابن عبد البر:- الاستيعاب، م٦، ص ٣٣١-٣٣٢؛ الفاسى:- العقد، جـ ٧، ص ٤٠٢.

(٢) دفعنا لاعتماد هذه الأسماء وغيرها، كثرة اختلاف المصادر حولها. ونعتقد أن عملهم الجماعى كان فى ذروته حينذاك؛ إذ لا ننسى مجموعة المستشارين مثل عبد الله بن جبير الأسدى ورفاقه، وغيرهم ممن شملته قائمة المعارضة ضد الوليد كأبى خشة – أو حبيبة – الغفارى والصعب بن جثامة. انظر مثلاً:- البلاذرى:- أنساب، جـ ٥، ص ٣٣ (رواية أبى مخنف)، و ص ٣٤ (رواية الواقدى) و ص ٣٤ (رواية الهيثم بن عدى)؛ المسعودى:- مروج، جـ ٢، ص ٣٤٥.

(٣) الطبرى:- جـ ٤، ص ٢٧٥-٢٧٦؛ ابن عساكر:- جـ ٢٦، ص ٣٤٤-٣٤٥؛ المالقى:- ص ٥٥.

الإمارة بهذه البساطة! وبواسطة أولئك المعارضين دوماً لسياسته فى الحكم والساخطين عليه فى معظم المواقف السابقة!!؟ فأورد جملة ذات مغزى على لسان الوليد فور علمه بحقيقة ضيفيه:- "قال:- ذاك أبو زينب والآخر أبو مورع، وقد أرادا داهية، فليت شعرى ماذا يريدان؟". وكررها الطبرى فى موضع آخر: "ولا يدرى الوليد ماذا أرادا من ذلك"[١]. بمعنى أن المعارضين كانوا قد أحكموا خططهم، بينما الوليد ماض فى سياسته بقلب مفتوح لجميع أهل الكوفة، ومفترضاً فى المعارضين أنهم أحرص على وحدة الصف طالما أن القاعدة الشرعية التى يتحرك الجميع فى إطارها هى "الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر".

هذا ما أورده الطبرى، بينما عند غيره، كان الحصول على خاتم الإمارة محصلة لكون الوليد مخموراً لا يدرى ما يحدث حوله سواء داخل بيته أو فى المسجد. إذ روى البلاذرى عن أبى مخنف، أن الوليد تغيب عن صلاة العصر فى أحد الأيام، وبصعوبة كبيرة تمكن أبو زينب وأبو مورع من دخول بيته "فإذا هما به سكران ما يعقل، فحملاه حتى وضعاه على سريره، فقاء خمراً. وانتزع أبو زينب خاتمه من يده، ومضى وصاحبه على طريق البصرة!! حتى قدما على عثمان"[٢]. وعند المسعودى أن الوليد صلى بالناس وهو سكران ثم دخل بيته "فهجم عليه جماعة من المسجد منهم أبو زينب بن عوف الأزدى وجندب بن زهير الأزدى وغيرهما. فوجدوه سكران مضطجعاً على سريره لا يعقل فأيقظوه من رقدته فلم يستيقظ، ثم تقايأ عليهم ما شرب من الخمر. فانتزعوا خاتمه من يده وخرجوا من فورهم إلى المدينة"[٣]. وهو تصور استنكفه د. عدنان ملحم مؤكداً غلبة التشيع على أصحابه المؤرخين[٤].

نص الشهادة ما إن خرج أبو زينب وأبو مورع بخاتم الإمارة من بيت الوليد، حتى نصحهما رفاقهما عبد الله بن جبير الأسدى وعقبة بن يزيد البكرى وغيرهما بالذهاب

---

(١) الطبرى:- جـ ٤، ص ٢٧٦ و ٢٧٧؛ ابن عساكر:- جـ ٢٦، ص ٣٤٥.
(٢) البلاذرى:- أنساب، جـ ٥، ص ٣٣؛ ابن شبة:- تاريخ المدينة المنورة، جـ ٣، ص ٩٧٢.
(٣) المسعودى:- مروج، جـ ٢، ٣٤٥..
(٤) المؤرخون العرب والفتنة الكبرى، ص ١٣٣-١٣٥.

فوراً إلى المدينة المنورة لعرض الأمر على الخليفة عثمان شخصياً[١]. ولكنهما لم يذهبا بمفردهما، بل خرجا "ومعهما نفر ممن يُعرف من أعوانهما"، هذا فى رواية، وفى أخرى "ومعهما نفر ممن يعرف عثمان ممن عزل الوليد عن الأعمال"[٢]. ورغم أن الوقت كان ليلاً، فقد خرجوا أولاً "على طريق البصرة" قبل أن يسلكوا الجادة إلى المدينة مباشرة، تمويهاً على مطارديهم المفترض خروجهم فى إثرهم، بلا شك[٣].

وفور دخولهم على الخليفة عثمان، انبرى أبو زينب وأبو مورع فى الكلام بلسان المجموعة قائلين:- "إنا جئناك لأمر نحن مخرجوه إليك من أعناقنا". ولما سألهم الخليفة عثمان عما هو، أجابا بإيجاز شديد:- "رأينا الوليد سكران من خمر، قد شربها، وهذا خاتمه أخذناه وهو لا يعقل"[٤]. وهى مقولة لم يرد فيها رؤيتهم إياه وهو يتجرعها، كما وهذا الأهم لم يفتح موضوع صلاته وهو سكران وعدد الركعات وتهوعه فى المحراب ... إلخ. ثم تابع الخليفة عثمان إجراءاته باستشارة على بن أبى طالب الذى أشار باستدعاء الوليد من الكوفة على عجل، حيث بدأت إجراءات الشهادة رسمياً، وتصدى للشهادة هذه المرة أبو زينب وأبو مورع وجندب بن زهير وسعد بن مالك الأشعرى "ثم شهد عليه الأيمان". وعندها أمر الخليفة عثمان علياً بن أبى طالب بتنفيذ العقوبة، فأمر علىٌ ابنه الحسن ولكنه رفض، فأمر ابن أخيه عبد الله ابن جعفر بن أبى طالب "فضربه بمخصرة لها رأسان. فلما بلغ أربعين قال له:- أمسك". هذا مختصر ما ورد فى هذه الحادثة التى تلاها عزل الوليد بن عقبة عن ولاية الكوفة، وإرسال سعيد بن العاص بدله[٥].

---

(١) ابن شبة:- جـ ٣، ص ٩٧٢.

(٢) الطبرى:- جـ ٤، ص ٢٧٥ و ٢٧٦. وسنرى حالاً اختلاف الروايات فيمن سار معهما للقاء الخليفة عثمان وأداء الشهادة.

(٣) البلاذرى:- جـ ٥، ص ٣٣

(٤) ابن شبة:- جـ ٣، ص ٩٧٢. ويشبه هذا الحوار فى بعض تفاصيله إلى حد كبير ما قاله الجارود سيد عبد القيس بالبحرين للخليفة عمر بن الخطاب فى أصل شهادته أن الوالى عليهم قدامة بن مظعون قد شرب الخمر. انظر ترجمة قدامة عند:- ابن عبد البر:- الاستيعاب، م٥، ص ٤٥٠؛ ابن حجر:- الإصابة، م٥، ص ٦٣٥-٦٣٦.

(٥) ابن شبة:- جـ ٣، ص ٩٧٢؛ ابن أعثم:- كتاب الفتوح، جـ ٢، ص ١٦٦-١٦٨.

ملابسات حول الشهادة بيد أن روايات كثيرة أضفت على الحادثة بُعداً أسطورياً، لكثرة اختلافها حول أسماء الشهود، وصيغة الشهادة، ورد فعل الخليفة عثمان تجاه الشهود، وأخيراً فى تفاصيل إقامة الحد على الوليد.

* أما عن أسماء الشهود: فإلى جانب من ذكرنا، هناك أبو خشة – أو أبو حبيبة – الغفارى وجثامة بن الصعب بن جثامة، وقيل أبوه الصعب بن جثامة. كذلك ورد اسم حمران بن أبان كشاهد وحيد على أنه رأى الوليد وهو يشرب الخمر[1]. مما يوحى بأن الوليد متورط فعلاً فى تهمة شرب الخمر؛ إذ لا يعقل اجتماع هذا العدد (حوالى سبعة) على باطل.

* أما صيغة الشهادة: فقد أورد الطبرى أن أبا زينب وأبا مورع تقدما للشهادة "وكاع (أى جبن) الآخران ... قالا:- كنا من غاشيته، فدخلنا عليه وهو يقيء الخمر". وفى رواية، أن الخليفة عثمان سألهما:- "أتشهدان أنكما رأيتماه يشرب الخمر؟ فقالا:- لا، وخافا. قال:- فكيف؟ قالا:- اعتصرناها من لحيته وهو يقيء الخمر"[2]. وذكر البلاذرى أن جندباً بن زهير هو الذى انبرى للشهادة أولاً، وأجاب على سؤال الخليفة عثمان إن كان رأى الوليد وهو يشرب الخمر، قائلا:- "معاذ الله، ولكنى أشهد أنى رأيته سكران يقلسها من جوفه، وإنى أخذت خاتمه من يده وهو سكران لا يعقل"[3]. وهكذا جاءت رواية البلاذرى – ذى الميول الشيعية – خالية من شهادة الشهود أنهم رأوا الوليد وهو يشرب الخمر. بينما خالفه المسعودى – شريكه فى التشيع – عندما أكد أن جندباً بن زهير ورفيقه أبا زينب قد شهدا مع الآخرين "على الوليد أنه شرب الخمر. فقال عثمان:- وما يدريكما أنه شرب خمرا؟ فقالا:- هى الخمر التى كنا نشربها فى الجاهلية. وأخرجا خاتمه فدفعاه

---

(١) البلاذرى:- أنساب، جـ ٥، ص ٣٤؛ ابن حجر:- فتح البارى بشرح صحيح البخارى، فى تعليقه على حديث رقم ٣٦٩٦ (باب مناقب عثمان بن عفان)، م ١٠، ص ٦٠٥.

(٢) الطبرى: جـ٤، ص ٢٧٦ و ٢٧٧؛ ابن عساكر:- تاريخ دمشق، جـ٢٦، ص ٣٤٥. ويلاحظ أن هذه الطريقة فى أداء الشهادة تذكرنا تماماً بنص شهادة أبى هريرة على قدامة بن مظعون أمام عمر بن الخطاب، "قال:- لم أره شرب، ولكنى رأيته سكران يقيء". انظر:- ابن عبد البر:- الاستيعاب م٥، ص٤٥٠؛ ابن حجر:- الإصابة، م٥، ص ٦٣٦.

(٣) أنساب الأشراف، جـ٥، ص ٣٤.

إليه"[١]. وهو أسلوب تكرر من المسعودى فى تغييره لبعض ألفاظ الروايات التى أخذها عمن سبقه، خاصة أنه نادرا ما يصرح باسم الرواى الأصلى، عكس البلاذرى مثلا. وهكذا، فإن تضارب الروايات فيما بينها، لما يجعلنا نطمئن إلى خلو صيغة الشهادة من جزئية أن الشهود رأوا الوليد وهو يشرب الخمر، وكذا قولهم عن صلاته وهو سكران.

وقد يحتج البعض بأن هذه الجزئية المهمة من أركان الشهادة قد وردت فى رواية أبى ساسان الحضين بن المنذر الموجودة فى مسند الإمام أحمد بن حنبل (ثلاثة مواضع)، وفى صحيح الإمام مسلم (موضع واحد فى باب حد الخمر). وخلاصتها أنه قال:- "شهدت عثمان بن عفان، وأتى بالوليد قد صلى الصبح ركعتين، ثم قال أزيدكم. فشهد عليه رجلان، أحدهما حمران بن أبان أنه شرب الخمر، وشهد آخر أنه رآه يتقيأ ..."[٢]. ونختصر المسافة بذكر النقد القيم الذى وجهه الأستاذ محب الدين الخطيب محقق كتاب العواصم من القواصم، لهذه الرواية بأشكالها المختلفة. فقد أوضح سيادته ابتداءً أن مسألة صلاة الوليد وهو سكران لم ترد فى شهادة الشاهدين، إنما هى من كلام الحضين (وهو أبو ساسان وأبو محمد الحضين بن المنذر بن الحارث الرقاشى، كان من أمراء على بن أبى طالب فى صفين) [٣] "ولم يكن حضين من الشهود ولا كان فى الكوفة وقت الحادث المزعوم. ثم إنه لم يسند هذا العنصر من عناصر الاتهام إلى إنسان معروف". ثم أوضح سيادته كذلك اختلاف صيغ الرواية ذاتها عند الإمام أحمد بن حنبل فى مواضعها الثلاثة من مسنده، رغم أن الراوى الأصلى هو الحضين نفسه وكذا الذين سمعوها منه هم أنفسهم المذكورون فى صحيح مسلم؛ إذ إن الموضعين الأولين "ليس فيهما ذكر للصلاة

---

(١) مروج الذهب، جـ٢، ص ٣٤٥.

(٢) الإمام أحمد بن حنبل:- المسند، رقّم أحاديثه محمد عبد السلام عبد الشافى، مطبوعات دار الكتب العلمية ببيروت، ط١ سنة ١٩٩٣، جـ١، حديث رقم ٦٢٦ ص ١٠٣ ورقم ١١٨٨ ص ١٧٥ ورقم ١٢٣٣ ص ١٨١؛ الإمام مسلم:- صحيح مسلم بشرح النووى (د.ت) باب حد الخمر، حديث رقم ٦، ص ٢١٦.

(٣) ابن حجر:- تهذيب التهذيب (طبعة حيدر آباد، الدكن، الهند، ط١ سنة ١٣٢٥هـ)، جـ٢، ص ٣٩٥.

عن لسان حضين فضلاً عن غيره. فلعل أحد الرواة من بعده أدرك أن الكلام عن الصلاة ليس من كلام الشهود، فاقتصر على ذكر الحد"[١].

ونضيف إلى ما ذكر سيادته فى هذه الجزئية من نقده، أن الصيغ الثلاثة للرواية عند الإمام أحمد ابن حنبل فى مسنده قد احتوت على اختلافات جوهرية كثيرة غير ما سبق، بحيث كانت فرصة طيبة لقدامى المؤرخين أن يدلوا بدلوهم فى هذه الاختلافات. ففى الرواية الأولى عند الإمام أحمد، ورد كلام الحضين فى شكل خبرى عادى وليس تعبيراً عن كونه قد شهد الحادثة:- "أنه قدم ناس من أهل الكوفة على عثمان رضى الله عنه، فأخبروه بما كان من أمر الوليد، أى بشربه الخمر ..."[٢]. والصيغة هنا مشابهة تماماً لما أورده ابن شبة فى تاريخ المدينة المنورة:- "عن حضين بن المنذر أبى ساسان قال:- ركب ناس من أهل الكوفة إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه، فأخبروه عن الوليد يشرب الخمر ..."[٣]. وفى الرواية الثانية عند الإمام أحمد، ورد كلام الحضين بصيغة المبنى للمجهول :- "شُهد على الوليد بن عقبة عند عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه شرب الخمر ... "[٤]. وقد كررها البلاذرى رغم اختلاف رجال السند فى روايته:- "عن حضين بن المنذر:- أنه شُهد على الوليد بن عقبة عند عثمان بشرب الخمر ..."[٥]. ثم نجد ابن شبة يعيد ذكر رواية الحضين فى موضع آخر جاعلاً إياه من الحاضرين لدى عثمان أثناء شهادة الشهود، "قال:- شهدت الوليد بن عقبة لما أتى به عثمان قد شرب الخمر ..."[٦].

---

(١) أبو بكر بن العربى:- العواصم من القواصم، هامش تحقيق رقم ١، ص ٩٤-٩٩وبخاصة٩٧-٩٨. وقد أكد ابن عبد البر (الاستيعاب ، م٦، ص ٣٣٣) أن الحضين لم يكن من الشهود ولا حضر معهم، بل كل دوره أنه "ركب إلى عثمان فأخبره بقصة الوليد، وقدم على عثمان رجلان فشهدا عليه ...".

(٢) مسند الإمام أحمد، جـ١، حديث رقم ٦٢٦ ص ١٠٣.

(٣) ابن شبة:- جـ٣، ص ٩٧٣ (برواية محمد بن حاتم عن إسماعيل بن إبراهيم عن سعيد بن أبى عروبة عن عبد الله الداناج عن الحضين) لاحظ اختلاف رجال السند.

(٤) مسند الإمام أحمد، جـ١، جديث رقم ١١٨٨، ص ١٧٥.

(٥) البلاذرى:- أنساب، جـ٥، ص٣٥ (برواية عباس بن يزيد البحراني).

(٦) ابن شبة:- جـ٣، ص ٩٧٣.

وخلاصة ما سبق، يتضح أننا أمام أربع روايات تنفى أن يكون الحضين حاضراً أثناء شهادة الشهود لدى الخليفة عثمان، بينما رواية وحيدة لابن شبة تناقض فيها مع نفسه. كما أنها وإن تشابهت فى صيغتها مع صيغة الرواية الموجودة فى صحيح الإمام مسلم – فى إثبات رؤية الحضين للحادثة "شهدت عثمان وأتى بالوليد ..." – إلا أنها اختلفت عنها تماماً بعدم ذكر الصلاة وعدد الركعات.

وهذا يدعونا لمتابعة المفاجأة الأخرى التى قدمها الأستاذ محب الدين الخطيب عن الاختلاف فى عدد الركعات التى صلاها الوليد؛ ذلك أن الرواية فى الموضع الثالث من مسند الإمام أحمد قد جاء فيها على لسان الحضين "أن الوليد بن عقبة صلى بالناس الصبح أربعاً، ثم التفت إليهم فقال:- أزيدكم؟" [١]. وهو عين ما ردده ابن عساكر[٢]، والذهبى[٣]، بصدد حكايتهما عن هذه الجزئية من شهادة الشهود ضد الوليد بن عقبة. بينما يتعارض ذلك تماما مع ما جاء على لسان الحضين نفسه فى صحيح مسلم من أن الوليد صلى الصبح ركعتين فقط، "ففى إحدى الروايتين تحريف، الله أعلم بسببه. وفى الحالتين لا يخرج ذكر الصلاة عن أنه من كلام حضين. وحضين ليس بشاهد، ولم يرو عن شاهد. فلا عبرة بهذا الجزء من كلامه"[٤].

وختاماً لما قيل حول صيغة الشهادة، نعود أخيراً للجزئية الثانية من النقد القيم الذى وجهه الأستاذ محب الدين الخطيب لرواية الحضين بن المنذر الموجودة فى صحيح الإمام مسلم، وهى الخاصة بانفراد هذه الرواية بذكر اسم حمران بن أبان كشاهد وحيد أمام الخليفة عثمان على رؤيته الوليد بن عقبة وهو يشرب الخمر. فقد أبان سيادته – دون أن يقول إنه ينقل عن الطبرى – أن حمران هذا شاهد زور؛ إذ "هو عبد من عبيد عثمان. كان قد عصى الله قبل شهادته على الوليد، فتزوج فى مدينة الرسول امرأة مطلقة ودخل بها وهى فى عدتها من زوجها الأول. فغضب عليه عثمان لهذا الأمر ولأمور أخرى قبله، فطرده من رحابه وأخرجه من المدينة. فجاء الكوفة يعيث فيها فساداً، ودخل على العبد

(١) مسند الإمام أحمد، جـ١، حديث رقم ١٢٣٣ ص ١٨١.
(٢) ابن عساكر:- تاريخ دمشق، جـ٢٦، ص ٣٤٢.
(٣) الذهبى:- سير أعلام النبلاء، جـ٣، ص ٤١٤.
(٤) أبو بكر بن العربى:- العواصم من القواصم، هامش التحقيق المذكور والصفحة.

الصالح عامر بن عبد القيس فافترى عليه الكذب عند رجال الدولة، وكان سبب تسييره إلى الشام"[١]. ورغم اتفاقنا مع سيادته فى نقده للواقع البغيض لحمران بن أبان، إلا أننا لا نهضم حمران حقه فى ماض مشرف ذكره له المحدّثون من أنه "ثقة" وأنه "أحد العلماء الجلة أهل الوجاهة والرأى والشرف". ذلك أنه حسبما ترجموا، كان من سبى معركة عين التمر ضد الفرس، واشتراه عثمان بن عفان ثم أعتقه، وكان يصلى خلف عثمان ويصحح له ما انقطع من التلاوة، واتخذه من حجابه، وقيل كان كاتباً له. ثم أدرك منه تغيراً، سواء بدخوله على المرأة المطلقة قبل انتهاء عدتها، أو لأنه أفشى سراً ائتمنه عليه الخليفة عثمان يتعلق برغبته فى استخلاف عبد الرحمن بن عوف بعده، فلما أعلنه حمران غضب عليه الخليفة عثمان ونفاه إلى البصرة حيث شهد زورا على أحد صلحائها "يعرّض بأنه خارجى" حسبما صرح ابن قتيبة.

ولما عرف عنه ذلك نفى ثانية الى الكوفة أثناء تكالب المعارضين على الإيقاع بالوليد بن عقبة، فكان ما كان من شهادته عليه بشرب الخمر[٢].

* أما عن رد فعل الخليفة عثمان تجاه الشهود، فقد اتهمته بعض الروايات بممارسة ضغوط كثيرة، واستخدام ألفاظ ذات إيحاء خاص لإثنائهم عن شهادتهم، وأنه تعمد تأخير تنفيذ الحد، بينما أثبت أصحاب المخطط التنفيذى براعة كبيرة فى التزام الهدوء والتلطف فى طلب تنفيذ الحكم. ومما قيل فى ذلك:- إن الخليفة عثمان "أوعدهم وتهددهم" وقيل:- "إن عثمان ضرب بعض الشهود أسواطاً"[٣]. وقيل:- "فزجرهما

(١) هامش التحقيق المذكور، ص٩٨. وراجع ترجمة حمران بن أبان عند: الطبرى:- جـ٤، ص ٣٢٧-٣٢٨ (ذكرها مرتين بتفاصيل مختلفة). وانظر:- ابن حجر:- فتح البارى بشرح صحيح البخارى، باب مناقب عثمان بن عفان، م١٠، تعليقه على حديث رقم ٣٦٩٦ ص ٦٠٥ حيث يؤكد دور حمران فى الشهادة على الوليد.

(٢) ابن قتيبة:- المعارف، ص ٤٣٥-٤٣٦؛ اليعقوبى:_ تاريخ، جـ٢، ص ١٦٩ و ١٧٣. وقارن بـ الذهبى بـ سير أعلام النبلاء، جـ٤، ص ١٨٢-١٨٣؛ ابن حجر:- تهذيب التهذيب (طبعة الهند) جـ ٣، ص ٢٤-٢٥؛ وتقريب التهذيب (طبعة دار المعرفة ببيروت) جـ١، ص ١٩٨؛ والإصابة، م٢، ص ٢٨٥-٢٨٦.

(٣) البلاذرى:- أنساب، جـ٥، ص ٣٤ (رواية أبى إسحاق ورواية الواقدى). ولاحظ أن صاحب الإمامة والسياسة (ص٣٥) قد ذكر صراحة أن من عيوب الخليفة عثمان "... وتعطيله إقامة الحد عليه (يعنى الوليد) وتأخيره ذلك عنه". بل جعلها (ص ٣٦-٣٧) تحدث فى حوالى سنة ٣٤هـ.

ودفع فى صدورهما، وقال:- تنحيا عنى"[١]. ووفقا لهذا التصوير، اضطر الشهود للاستغاثة بكبار الصحابة. من ذلك ما روى عن لجوئهم للسيدة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها التى صدقتهم وصارت تردد:- "إن عثمان أبطل الحدود وتوعد الشهود". وتسبب هذا فى صدام بينها وبين الخليفة عثمان الذى زعموا أنه "أغلظ لها وقال:- وما أنت وهذا؟ إنما أمرت أن تقرى فى بيتك. فقال قوم مثل قوله. وقال آخرون:- ومن أولى بذلك منها؟ فاضطربوا بالنعال. وكان ذلك أول قتال بين المسلمين بعد النبى صلى الله عليه وسلم"[٢]. وفى رواية أخرى، لجأ الشهود الى على بن أبى طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله رضى الله عنهم. فأتوا عثمان قائلين:- "عطلت الحدود وضربت قوماً شهدوا على أخيك، فقلبت الحكم. وقد قال عمر:- لا تحمل بنى أبى معيط خاصة على رقاب الناس". وزاد طلحة والزبير:- "قد نهيناك عن تولية الوليد شيئا من أمور المسلمين، فأبيت، وقد شُهد عليه بشرب الخمر والسكر فاعزله"[٣].

وهناك روايات رددت صيغا على لسان الخليفة عثمان أقل عنفاً من السابقة، ولكنها تكشف عن رغبته فى التحايل على الشهود. مثل إدعائهم أنه صار يلوح لهم بأخوة الوليد له، "وقال لجندب:- رأيت أخى يشرب الخمر؟"[٤]. وصار يقول لعلى بن أبى طالب آمراً إياه بإقامة الحد:-"دونك ابن عمك، فأقم عليه الحد". بل لا يذكر لعلى جزئية إقامة الحد قائلا له فى رواية أخرى:- "دونك ابن عمك!!"[٥].

كذلك تعمدوا إظهار مماطلة الخليفة عثمان فى الرد على الشهود، بحيث جعلوا علياً بن أبى طالب هو البادئ فى فتح موضوع إقامة الحد على الوليد وليس عثمان:- "فكلمه على

---

(١) المسعودى:- مروج، جـ٢، ص ٣٤٥.

(٢) البلاذرى:- المصدر السابق والصفحة.

(٣) نفسه، ص ٣٤-٣٥؛ المسعودى:- جـ٢، ص ٣٤٥.

(٤) نفسه، ص ٣٤. ص ٢١٦.

(٥) مسند الإمام أحمد:- حديث رقم ٦٢٦ ص ١٠٣ ورقم ١١٨٨ ص ١٧٥. والصيغة الأخيرة أوردها ابن شبة:- تاريخ المدينة المنورة، جـ٣، ص ٩٧٣؛ البلاذرى:- جـ٥، ص ٣٥. وانظر كذلك:- صاحب الإمامة والسياسة، ص ٣٦-٣٧.

فى ذلك". و"فكلمه فيه على". و"فكلم على عثمان فيه"[١]. رغم أن العكس هو الصحيح استنادا لباقى الروايات التى جعلت الخليفة عثمان هو البادئ بطلب المشورة من على بن أبى طالب فى القضية[٢]. واستنادا كذلك لما هو معروف من أن الخليفة عثمان كان متخذا من على بن أبى طالب وزير له ومستشار فى كل الأمور مثلما كان عمر بن الخطاب متخذا من عثمان وعلى بمثابة وزراء له.

أما أغرب محاولة ذكرت فى هذا الشأن، فتلك التى رواها البلاذرى عن أن الخليفة عثمان فور حضور الشهود لديه لإخباره بأمر الوليد، أرسل لجنة لتقصى الحقائق فى الكوفة. وكانت المفاجأة أنها كانت تتكون من حمران بن أبان، الذى أكدت الرواية أن الوليد بن عقبة نجح فى رشوته بحيث عاد إلى المدينة المنورة "فنقل صورة غير صحيحة لعثمان". وذلك حسب تعبير د. عدنان ملحم الذى استنكر الحادثة تماماً، دون أن يتتبع ترجمة حمران أو يذكر شيئا عن شهادته الزور ضد الوليد[٣].

ولعل هذه التُرَّهات قد وجدت سبيلها إلى الظهور، كنوع من سد الفراغ الزمنى الناشئ عن مرور بعض الوقت بين شهادة الشهود على الوليد أمام الخليفة وبين تنفيذ الحكم بشكل نهائى. وهو أمر ثابت فى صحيح البخارى، حيث نلاحظ أن جماعة المعارضة استغلت ذلك لمصلحتها. إذ عملوا بهدوء على تحريض أحد أقارب الخليفة عثمان كى يكلمه فى أمر الحد، ونصحوه بالتلطف فى الطلب. أما الأشخاص المنوط بهم تنفيذ ذلك، فهم:- المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث، وهما ممن سيلمع دورهما لصالح على بن أبى طالب بعد ذلك. أما الشخص الثالث الذى انتدب لمفاتحة الخليفة عثمان، فكان عبيد الله بن عدى بن الخيار الذى كانت أمه ابنة عم الخليفة عثمان. وبالفعل تلطف عبيد الله فى فتح الحوار مع الخليفة عثمان الذى زجره فى البداية، بعد أن لاحظ

---

(١) مسند الإمام أحمد:- حديث رقم ٦٢٦ ص ١٠٣ ورقم ١١٨٨ ص ١٧٥؛ ابن شبة:- تاريخ المدينة المنورة، جـ ٣، ص ٩٧٣ (رواية محمد بن حاتم؛ البلاذرى:- جـ ٥، ص ٣٥) (رواية عباس بن يزيد البحرانى).

(٢) صحيح الإمام مسلم (باب حد الخمر، حديث رقم ٦) ص ٢١٦؛ ابن شبة:- جـ٣، ص ٩٧٣ (رواية عبد الله بن فيروز عن الحضين)؛ ابن عبد البر:- الاستيعاب، م٦، ص ٣٣٤.

(٣) المؤرخون العرب والفتنة الكبرى، ص ١٣٤ (والخبر منقول عن البلاذرى:- أنساب، جـ٤، ص ٥٤٧).

تربص الآخرين للسماع، إذ كان اللقاء على قارعة الطريق. وتوضح لنا الرواية أن السائل عاد خائباً إلى مُرْسِلَيْه اللذين طمأناه قائلين:- "قد قضيت ما عليك". ثم فوجئوا ثلاثتهم برسول الخليفة يطلب حضور عبيد الله للقائه. فتوجس الأولان شراً وقالا لزميلهما:- "قد ابتليت". ولكن الأمر كان أبسط من ذلك كثيراً؛ إذ تباسط الخليفة فى الحوار معه وأعلمه حقه عليه وعلى من أرسله فى الطاعة كما هو طائع لله ولرسوله ولأبى بكر ولعمر، ثم أجابه على سؤاله بشأن الوليد بن عقبة قائلاً:- "أما ما ذكرت من شأن الوليد، فسنأخذ فيه بالحق إن شاء الله تعالى. ثم دعا علياً فأمره أن يجلد. فجلده ثمانين"[(١)]. وقد علق ابن حجر على تباطؤ الخليفة عثمان فى تنفيذ الحكم قائلاً:- "وإنما أخر إقامة الحد عليه، ليكشف عن حاله ممن شهدوا عليه بذلك. فلما وضح له الأمر، أمر بإقامة الحد عليه. وروى المدائنى من طريق الشعبى أن عثمان لما شهدوا عنده على الوليد، حبسه"[(٢)]. بمعنى أن الخليفة عثمان لم يباطل فى تنفيذ الحكم على الوليد بعد نجاح الطاعنين فى إقامة الأركان الكاملة للشهادة عليه، ولكن كان بصدد دراسة حال الشهود، لعلمه من أكثر من وجه أنهم شهود زور، بيد أن إصرارهم على شهادتهم جعله يقيم الحد عليه، كما هو معروف. وهذا عين ما فعله عمر بن الخطاب بعد الشهادة على قدامة بن مظعون، حتى إنه زجر الشاهد الرئيسى الجارود لاستعجاله إقامة الحد وهدده بالعقوبة إن لم يسكت عن استعجاله، ثم طالب الشاهدين بإحضار ثالث، ففعلا[(٣)].

* أما عن تفاصيل إقامة الحد على الوليد، فقد تابعت ذات الروايات اتهام الخليفة عثمان بالاستمرار فى التحايل لمنع إقامة الحد. ويشير البلاذرى الى أنه "أتى بالوليد وأمر بجلده فلم يقم أحد. فلما قال الثالثة:- من يجلده؟ قال على:- أنا. فقام إليه فجلده بدِرَةٍ يقال لها السبتية، لها رأسان. فضربه بها أربعين. فذلك ثمانون"[(٤)]. والشاهد فى الرواية

---

(١) ابن حجر:- فتح البارى (باب مناقب عثمان) حديث رقم ٣٦٩٦، م١٠، ص ٦٠١-٦٠٥؛ ابن شبة:- تاريخ المدينة المنورة، جـ٣، ص ٩٧٠-٩٧١.

(٢) ابن حجر:- فتح البارى، م١٠، ص ٦٠٢. وانظر توقيت شاذ لإقامة الحد على الوليد إذ جاء متأخراً جداً حتى قارب سنة ٣٤هـ عند:- صاحب الإمامة والسياسة، ص ٣٦-٣٧.

(٣) ابن عبد البر:- الاستيعاب، م٥، ص ٤٥١؛ ابن حجر:- الإصابة، م ٥، ص ٦٣٦.

(٤) أنساب، جـ٥، ص ٣٣ (رواية العباس بن يزيد البصري). وانظر تصريح المسعودى (مروج، جـ٢، ص٣٤٥) " فلما نظر (على) إلى امتناع الجماعة عن إقامة الحد توقياً لغضب عثمان لقرابته منه، أخذ على السوط ودنا منه".

كلمة "فلم يقم أحد" التى تدل على خوف الحاضرين من سطوة الخليفة لكثرة تلويحه بكون الوليد أخيه، كما زعمت الروايات.

كذلك جعلوا الخليفة عثمان يتعاطف مع الوليد مخالفا القاعدة الشرعية فى إقامة الحدود. فقالوا إنه "ألبسه جبة خبر وأدخله بيتاً"[١]. ولا يخفى علينا أن الغرض من ذلك أن يتقى الوليد أثر الضرب؛ إذ الحبر:- هو ثوب من قطن أو كتان مخطط كان يصنع باليمن. أما إدخاله البيت فلكى يقلل من فرص التشهير بالوليد أمام الناس، أو لإتاحة الفرصة للوليد كى يؤثر على من سيقوم بعبء جلده. وهو بالفعل ما زعمته الرواية "فجعل إذا بعث إليه رجلاً من قريش (لاحظ الوصف) ليضربه، قال له الوليد:- أنشدك الله أن تقطع رحمى وتغضب أمير المؤمنين عليك. فيكف"[٣]. وختمت الرواية هذا المشهد الدرامى بجعل على بن أبى طالب يمسك السوط، "ودخل عليه (يعنى البيت المغلق) ومعه ابنه الحسن!!؟"، الذى تأثر لضراعة الوليد وخاطب أباه فى الامتناع عن تنفيذ الحد، فزجره أبوه مؤكدا أن من تمام الإيمان أن يقيم الحد. وأمام إصرار الوليد على ارتداء الجبة الحبر، نزع منه على بن أبى طالب كساءً آخراً كان يرتديه مما عرضه لسباب الوليد، أثناء ضربه إياه بالسوط[٤]. وعند المسعودى، إن سباباً جارحاً رد به عقيل بن أبى طالب – أحد الحضور – على سباب الوليد لعلى، وإن الوليد صار يراوغ علياً حتى لا يمكنه من ضربه "فاجتذبه على فضرب به الأرض، وعلاه بالسوط. فقال عثمان: ليس لك أن تفعل به هذا. قال:- بل وشراً من هذا، إذا فسق ومنع حق الله تعالى أن يؤخذ منه"[٥]. مما يناقض بداهة ما ذكره البلاذرى عن أن الجلد تم فى بيت مغلق.

---

(١) المصدر نفسه والجزء، ص ٣٥؛ ابن واصل:- تجريد الأغانى للأصفهانى، ق١ جـ٢، ص ٦٤١. وعن معنى الحبر، انظر: المعجم الوسيط (مادة حبر، بالفتح والكسر) ص ١٥١-١٥٢.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) نفسه، ص ٣٣ (رواية أبى مخنف)؛ المسعودى:- جـ٢، ص ٣٤٥.

(٤) المسعودى:- المصدر والصفحة.

(٥) صحيح الإمام مسلم، الحديث السابق والصفحة؛ ومسند الإمام أحمد، الأحاديث الثلاثة السابقة؛ ابن حجر:- فتح البارى، تعليقه على حديث رقم ٣٦٩٦، م١٠، ص٦٠٥. وقارن:- ابن شبة:- تاريخ المدينة، جـ٣، الروايات الثلاثة للحضين بن المنذر السابقة؛ ابن عساكر:- تاريخ دمشق، جـ ٢٦، ص ٣٤٦؛ الفاسى:- العقد، جـ٧، ص ٤٠٣. وانظر تصريح المالقى (التمهيد والبيان،ص ٥٦) "والصحيح أن الذى جلده عبد الله بن جعفر بن أبى طالب، لأن على رضى الله عنه أمره بجلده. فجلده أربعين، وعلى يعد".

ونلاحظ كذلك اختلاف آخر من النوع المعتدل فى تفاصيل إقامة الحد، يقوم أساساً على اختلاف الروايات حول شخص من قام بتنفيذ الحد، وكذا مقداره هل أربعين جلدة أم ثمانين. فقيل إن الخليفة عثمان طلب إلى على بن أبى طالب مباشرة ذلك بنفسه أو اختيار من ينوب عنه. وهذا هو المشهور عند الرواة. حيث اختار على ابنه الحسن الذى رفض عارضاً على أبيه أن يكل الأمر للخليفة شخصياً أو من يختاره هو غيره. فانتدب على ابن أخيه عبد الله بن جعفر بن أبى طالب الذى باشر الضرب وعلى يعد حتى بلغ أربعين جلدة. وهذا ما رجحه أغلب المؤرخين والمحدثين، حتى إن الحافظ ابن حجر فى تأكيده أن العدد كان أربعين وليس ثمانين جلدة، قد نبه إلى وهم الراوى الأول للحديث الموجود فى صحيح البخارى عن عدد الضربات[١]. وهناك من قال بأن سعيد بن العاص – الذى خلف الوليد فى ولاية الكوفة – قد باشر تنفيذ الحد "فأورث ذلك عداوة بين ولديهما حتى اليوم (أى زمن الطبرى)" [٢].

ماذا عن الوليد؟ لاشك أن أفكاراً عديدة دارت فى رأس الوليد حين تم استدعاؤه للقاء الخليفة عثمان، ومثوله أمام الشهود، كلها تنصب فى محاولة الإجابة على سؤال واحد:- لماذا كل هذا؟ فهو يعلم مدى شغب أهل الكوفة وعدم رضائهم عن ولاتهم السابقين، ولكن لماذا يصل بهم الحال معه إلى هذا المنعطف الخطير؟ ألم يشغلهم بالجهاد العسكرى المستمر ويغدق عليهم مغانم الفتوح طيلة السنوات الخمسة؟ ألم يتألف قلوب أصحاب الحاجات منهم؟ ألم يسهر على أمن المواطنين ويدرأ الحدود بالشبهات كى يقضى على النعرة القبلية لدى زعماء العشائر؟ وهل هذا معنى تطبيقهم لقاعدة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى خصومتهم معه؟ ثم لماذا يتجسسون على حياته الخاصة ويقتحمون عليه داره مرة بعد أخرى، رغم اتخاذه سياسة الباب المفتوح بينه وبينهم؟ وكيف يقنعهم أنه لم يشرب الخمر:- ألم يكن الخليفة عثمان – كأخ له – أول من يعلم عنه ذلك، خاصة أنه أقام فى كنفه سنوات قبل توليه الكوفة؟ وأين أخته أم كلثوم بنت عقبة وزوجها عبد الرحمن بن عوف من هذا كله؛ إذ لم تشر الروايات على اختلافها إلى أية دور أو شهادة لهما

---

(١) الطبرى:- جـ٤، ص ٢٧٦؛ ابن عساكر:- جـ٢٦، ص ٣٤٤ و ٣٤٥.
(٢) المصدران السابقان والصفحات.

عن هذا الحادث؟ ثم إنه إن كان يشرب شيئا، فكيف يقنعهم إنه النبيذ المستخدم كمسهل للهضم وليس خمراً؟.

وعموماً، فإنه لم ينطق سوى بجملة واحدة، لم يستخدم فيها مؤثرات الأخوة، بل "حلف له وأخبره خبرهم .. فقال:- يا أمير المؤمنين، أنشدك الله، فوالله إنهما لخصمان موتوران"[١]. وكان رد الخليفة عثمان على ذلك حاسماً:- "لا يضرك ذلك. إنما نعمل بما ينتهى إلينا. فمن ظَلَم فالله ولى انتقامه، ومن ظُلِم فالله ولى جزائه". ويبدو أن الوليد ألح فى الدفاع عن نفسه، بحيث إن الخليفة أكد نيته فى إقامة الحد قائلا:- "نقيم الحدود، ويبوء شاهد الزور بالنار"[٢].

فى أعقاب المحاكمة والحق إن الخليفة عثمان بهذا قد قطع السبيل أمام من تسول له نفسه أن يتهمه بالتستر على الوليد بن عقبة سواء كأحد ولاته، أو كأخ له من أمه. إذ رغم اقتناعه بأن الشهادة كلها زور وأن محركيها أصحاب أغراض، كما يتضح من تعليقاته الأخيرة على دفاع الوليد عن نفسه، فإنه أمر بإقامة حد الخمر عليه. وأتبع ذلك بعزله عن ولاية الكوفة وتعيين سعيد بن العاص بدله، وأرسل معه كتاباً يقول فيه:- "من عبد الله عثمان أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة (وفى رواية إلى من قرئ عليه كتابى هذا من أهل الكوفة)، سلام. فإنى استعملت عليكم الوليد بن عقبة حتى تولت منعته واستقامت طريقته. وكان من صالحى أهله. وأوصيته بكم خيراً ولم أوصكم به. فلما بذل لكم خيره وكف عنكم شره وغلبتكم علانيته، طعنتم فى سريرته. والله أعلم بكم وبه (وفى رواية:- فإن يكونوا صدقوا فقد قضينا ما كان علينا، وإن يكونوا كذبوا فالله حسيبهم. فاتقوا الله عباد الله ووازروا أمراءكم وناصحوهم ولا تبغوا عليهم. وإياكم والقذف والبهت، وإن تحقق الأمر السئ). وقد بعثت عليكم سعيد بن العاص أميراً. وهو شرف أهله ومن لا يطغى فى سريرته ولا علانيته. وقد أوصيته بكم خيراً، فاستوصوا به خيراً. والسلام"[٣].

---

(١) المصدران السابقان والصفحات.

(٢) ابن شبة:- جـ٣، ص ٩٧٤ – ٩٧٥؛ ابن أعثم:- كتاب الفتوح، جـ٢، ص ١٦٨.

(٣) الطبرى:- جـ٤، ص ٢٧٩.

ومن العجيب أن الوالى سعيد بن العاص لم يرجع إلى مقر ولايته بالكوفة بمفرده، بل "خرج معه من مكة – أو المدينة – الأشتر، وأبو خشة (أو أبو حبيبة) الغفارى، وجندب ابن عبد الله (وصوابه ابن زهير) وأبو مصعب (الصعب) بن جثامة. وكانوا فيمن شخص مع الوليد يعيبونه. فرجعوا مع هذا". بمعنى أن حلقة مثيرة من حلقات المخطط التنفيذى للسبئية قد انتهت لتبدأ حلقة أخرى أكثر إثارة ستنتهى كما هو معروف، ليس فقط بالإطاحة بسعيد بن العاص من ولاية الكوفة، بل أيضاً بالخليفة عثمان بن عفان نفسه. وكأننا بالوليد بن عقبة، بعد انتهاء جلده يقرأ فى لوح الغيب عندما نصح الخليفة عثمان نصيحة غالية:- "أبصرتنى اليوم بشهادة قوم، ليقتلنك عاماً قابلاً"[١].

ردود فعل قرار العزل يشير الطبرى إلى تباين ردود فعل أهل الكوفة تجاه قرار عزل الوليد، قائلاً:- "كان الناس فى الوليد فرقتين:- العامة معه، والخاصة عليه"[٢]. ولا ريب أن الخاصة هؤلاء هم فى أغلبهم من زعماء العشائر اليمنية أو من "هو موتور فى نفسه" أو "نفر ممن قد عزل الوليد عن الأعمال"، الذين كان من الطبيعى أن يفرحوا لهذا القرار باعتباره ثمرة لتخطيطهم المحكم وجهدهم الجماعى المنظم. أما العامة، فقد تحدثت بلسانهم إحدى العجائز من أهل الكوفة، "قالت:- كان الوليد أدخل على الناس خيراً حتى جعل يقسم للولائد والعبيد. ولقد تفجع عليه الأحرار والمماليك. كان يسمع الولائد وعليهن الحداد يقلن:-

ياويلتا قد عزل الوليد ينقص ... وجاءنا مجوعاً سعيد
فى الصاع ولا يزيد ... جوع الإماء والعبيد"[٣]

وهى طريقة غريبة فى الترحم على أيام من مضى واستقبال مزعج لمن أتى، تماماً مثلما قيل عند تولية الوليد بن عقبة بدلاً من سعد بن أبى وقاص. بفارق بسيط، أن العامة من أهل الكوفة هم المتحدثون هذه المرة، بينما فى السابقة كان خاصة أهل الكوفة هم

(١) ابن شبة:- جـ٣، ص ٩٧٤.
(٢) الطبرى:- جـ٤، ص ٢٧٧؛ ابن عساكر:- جـ٢٦، ص ٣٤٦.
(٣) الطبرى:- جـ٤، ص ٢٧٧ – ٢٧٨؛ ابن عساكر:- جـ٢٦، ص ٣٤٦. ويقول الأصفهانى (تجريد الأغانى، ق١ جـ٢، ص ٦٤٥) مقارناً بين الوليد بن عقبة وسعيد بن العاص:- "وكان الوليد أسن منه وأسخى وألين جانباً وأرضى عندهم".

المتكلمون. الأمر الذى يؤكد ما جبل عليه أهل الكوفة من شغب دائم ضد ولاتهم، أكثر مما يدل على اختلاف طريقة حكم كل والى، الوليد بن عقبة مع العامة أكثر من الخاصة، وسعيد بن العاص على العكس منه. لأننا نعلم أن الخاصة استمروا فى شغبهم ضد الوالى سعيد بن العاص بحيث عزلوه عنوة عن ولاية الكوفة أثناء اشتعال الأحوال فيما يعرف ببدايات الفتنة الكبرى.

أما معاصرو الوليد ممن كانت له عليهم يد بيضاء، فقد حزنوا لذلك. ونذكر منهم الشاعر الحطيئة الذى قال أبياتاً فى هذه المحنة مؤكداً أن الأمر محض إفتراء وكذب. وهى الأبيات التى تم انتحالها هجاءً بفعل آخرين، كما سبق القول[1]. أما الشاعر أبو زبيد الطائى فقد عبر عن اعتزازه بصداقته للوليد وكرمه الزائد حياله وأفراد أسرته، وكشف عن حقيقة ما كان يشربه الوليد فعلاً من أنه كان نبيذاً وليس خمراً، وكيف استغل الخصوم ذلك، مؤكداً استمراره على الود له ولذكراه، حتى إنه توفى ودفن إلى جواره كما سنرى. وذلك فى أبيات شعرية قالها فى هذه المناسبة، منها[2]:-

من يرى العير التى لابن أروى على ظهـ ـــر المروزى، حداتهن عجال
يعرف الجاهل المضلل أن الـ ـدهر فيه النكراء والزلزال

ومنها:-

بعدما تعلمين يا أم زيد ووجوه كان فيهم عزٌّ لنا وجمال
تودنا مشرقات ونوال، إذا يعد النوال

ومنها:-

قولهم شربك الحرام وقد كا ن شراب سوى الحرام حلال
وأبى الظاهر العداوة إلا شنآناً وقول ما لا يقال

ومنها:-

---

(١) انظر ما سبق (ص ٤٠ هامش رقم ٣).

(٢) ابن شبة:- تاريخ المدينة، جـ٣، ص ٩٧٤؛ ابن واصل:- تجريد الأغانى للأصفهانى، ق١ جـ٢، ص ٦٤١-٦٤٢.

فـــأعلمـن أننـــى أخـــوك أخـــو الـــو د حيـــاتـــى، حتـــى تـــزول الجبـــال
ولـــك النصـــر بـــاللســـان وبـــالكـ ـــف إذا كـــان للـــيديـــن مصـــال

وأما الوليد بن عقبة، فقد جعلته الروايات أمام مفترق طرق:- إذ أغلب المؤرخين يقولون باستمراره بعد عزله وإقامة الحد عليه فى المدينة المنورة حتى استشهاد الخليفة عثمان والبيعة بالخلافة لعلى ابن أبى طالب (ذى الحجة ٣٥هـ / يونية ٦٥٦م)، وعندها اعتزل الحياة العامة فلا هو مع على بن أبى طالب ولا هو مع معاوية بن أبى سفيان. واختار الإقامة فى ضيعته الخاصة بعين الرومية على نهر يسمى البليخ من نواحى الرقة (على مسيرة ١٥ ميلاً منها) بإقليم الجزيرة بأعالى الفرات، وذلك حتى وفاته فى سنة ٦١هـ (٨١/ ٦٨٢م) على الأرجح[١]. ولكن هؤلاء المؤرخين لم ينسبوا إلى الوليد فعل شىء ما تجاه تطور الأحداث التى سبقت استشهاد الخليفة عثمان، حتى فى الاجتماع الذى حدث بين الخليفة عثمان وولاته على الأقاليم (سنة ٣٤هـ/ ٦٥٤م) للتباحث فيما يروج بين الناس من أمر الفتنة[٢]، لم يكن الوليد بن عقبة – إن كان حاضراً بالمدينة المنورة حينذاك كما يقولون – بين الحاضرين. رغم أن رأيه مهم جداً باعتباره والياً سابقاً على الكوفة أكثر الأقاليم شغباً وأنه قد عانى شخصياً من تآمر هؤلاء السبئية الذين يطعنون اليوم فى كفاءة الخليفة عثمان. وكذلك لم ينسبوا إلى الوليد فعل شىء ما لنصرة عثمان بن عفان كخليفة وكأخ له من أمه أثناء حصار المتمردين له قبيل استشهاده وهو "الشجاع القائم بأمر الجهاد" أثناء ولايته على الكوفة وقبل ذلك فى فتح إقليم الجزيرة وشمال الشام. كما أن

---

(١) ابن سعد:- الطبقات الكبرى، جـ٦، ص ١٥؛ خليفة:- طبقات، ص ١١ و ٣١٨؛ ابن قتيبة:- المعارف، ص ٣١٩ – ٣٢٠؛ ابن أبى حاتم:- كتاب الجرح والتعديل، جـ٩ ، ص ٨، ابن عبد البر:- الاستيعاب، م٥ ، ص ٣٣٤-٣٣٥؛ ابن عساكر:- تاريخ دمشق، جـ٢٦، ص ٣٣٥ – ٣٣٦و٣٣٧ ؛ ابن الجوزى:- المنتظم، جـ٦، ص ٥؛ ابن واصل:- تجريد الأغانى للأصفهانى، ق١ جـ٢، ص ٦٤٦ (وقد وصف الموضع بأنه "فويق الرقة")؛ الذهبى:- سير أعلام النبلاء، جـ٣، ص ٤١٤؛ الفاسى:- العقد، جـ٧، ص ٣٩٩ – ٤٠٠؛ ابن حجر:- تهذيب التهذيب (طبعة دار الفكر) جـ ١١،ص ١٢٦؛ والإصابة، م ٥، ص ٧١٩.

(٢) الطبرى:- جـ٤، ص ٣٣٣ – ٣٣٥. وانفرد ابن كثير (البداية والنهاية، م٤ جـ٨، ص ٧٤٥- ٧٤٦) بأن الوليد ابن عقبة استمر مقيماً بالكوفة بعد عزله وإقامة الحد عليه حتى حضور الخليفة على بن أبى طالب إلى العراق، فخرج هو إلى الرقة.

بعض مؤرخى هذا الاتجاه يجعلون الوليد يدخل البصرة بعد عزله عن الكوفة دونما ذكر سبب أو تفاصيل ذلك[١].

وهناك فريق آخر من المؤرخين يجعلون الوليد مشاركا فى الأحداث السياسية والعسكرية التى حدثت بعد استشهاد الخليفة عثمان، وكان إلى جانب معاوية بن أبى سفيان ضد الخليفة على بن أبى طالب، ولكن بالكلام فقط وبقصائد شعرية اتهم فيها معاوية وقيادات البيت الأموى بالعجز والتسويف فى الانتقام لعثمان، مما جعلهم يبادلونه الاتهام هم الآخرون[٢].

بينما نرجح أن الوليد بن عقبة اعتزل الحياة العامة فى منفاه الاختيارى بالرقة منذ عزله عن الكوفة وإقامة الحد عليه مباشرة. وذلك تفسيراً لغيابه المفاجئ عن المشاركة فى الأحداث التى سادت المدينة المنورة بعد ذلك وحتى استشهاد الخليفة عثمان. كما أن هذا الترجيح يعفينا من المبالغة والتناقض الواضحين فى كثير من روايات الفريق الثانى فى هذا الشأن، فمثلاً يجعلون شراكة نفعية تحدث بين الوليد بن عقبة وسعيد بن العاص وثالثهم مروان بن الحكم ضد الخليفة على بن أبى طالب، رغم إشارة ذات الروايات إلى العداوة المتأصلة بين الوليد وسعيد وامتدت لتشمل ذرياتهما، لكون سعيد هو الذى قام بجلد الوليد حد الخمر[٣]. وغير ذلك مما لا يغيب عن فطنة القارئ العادى. ولا بأس كذلك من القول بأن الوليد استمر مراقبا للأحداث من مقر إقامته بالرقة، وصار يرسل أبياتاً شعرية لقيادات البيت الأموى، تذكرهم بالثأر للخليفة عثمان وتتبع قتلته أينما كانوا[٤]. لأن فى ذلك انتقاماً له؛ إذ كان من بينهم أيضا خصومه هو.

---

(١) خليفة:- طبقات، ص ١١ و ١٨٩؛ ابن عبد البر:- الاستيعاب، م٥ ، ص٣٣٤ – ٣٣٥؛ الفاسى:- العقد، جـ٧، ص ٤١٠.

(٢) اليعقوبى:- تاريخ، جـ٢، ص ١٧٨-١٧٩؛ الطبرى:- جـ٤، ص ٤٣٣ و ٤٥٠ (رواية سيف بن عمر)؛ ابن أعثم:- كتاب الفتوح، جـ٢، ص ٢٥٩ – ٢٦٢.

(٣) انظر أمثلة كثيرة لما قيل عن تحركات الوليد المعادية لعلى بن أبى طالب، عند:- ابن أعثم:- كتاب الفتوح، جـ٢، صفحات ٢٥٩ – ٢٨٠ و ٣٥٣ – ٣٥٧ و ٣٩٢ – ٣٩٦؛ وجـ٣ ، ص ٢-٣ و ١٥٣ -١٥٥ و ١٧٥ - ١٧٦ و ١٩١-١٩٥.

(٤) ابن حجر:- الإصابة، م٥، ص ٧١٩.

الوليد فى أيامه الأخيرة وفى الرقة، حيث طاب له المقام وصار يردد "منك المحشر"[١]، انصرف الوليد خلال ما تبقى من عمره إلى مباشرة شئونه الخاصة وذريته. باستثناء إشارة وحيدة عن خروجه من الرقة فور علمه بتصاعد الأحداث فى المدينة المنورة وحصار المتمردين للخليفة عثمان. فسلك طريق الكوفة إلى المدينة المنورة، ولكنه عند موضع المراض (على طريق الحجاز – الكوفة) التقى بأحد موالى الخليفة عثمان ويدعى بجاد، الذى أخبره باستشهاد الخليفة، فانصرف عائدا وهو يردد أبياتاً شعرية فى رثائه، منها[٢]:-

ليت أنى هلكت قبل حديث ... جسمى وريع منه فؤادى
يوم لاقيت بالمراض بجادا ليت أنى هلكت قبل بجاد

وقال فى موضع آخر[٣]:-

وكف يديه ثم أغلق بابه وأيقن أن الله ليس بغافل
وقال لأهل الدار مه لا تقاتلوا عفا الله عن كل أمرئ لم يقاتل
وكيف رأيت الله ألقى عليهم العداوة والبغضاء بعد التواصل
وكيف رأيت الخير أدبر بعده عن الناس إدبار المخاض الجوافل

واستمر الوليد على هذا النحو حتى حضرته الوفاة خلال سنة ٦١هـ (٦٨٢م) على أرجح الأقوال[٤]. وعندها استحضر جميع ما حدث بينه وبين أهل الكوفة، فدعا قائلاً:- "اللهم إن كان أهل الكوفة صدقوا علىّ فلا تبارك لى فيما أقدم عليه واجعل مردى شر

(١) ابن عساكر:- جـ٢٦، ص ٣٣٦؛ الفاسى:- جـ٧، ص ٤٠٠.

(٢) ابن عساكر:- جـ٢٦، ص ٣٤٧. وعن موضع المراض، انظر:- ياقوت الحموى:- معجم البلدان، جـ٥، ص ٩٣.

(٣) البلاذرى:- أنساب، جـ٥، ص ٧٢.

(٤) ابن الجوزى:- المنتظم، جـ٦، ص٥؛ ابن كثير:- البداية والنهاية، م٤ جـ٨، ص ٧٤٥-٧٤٦ (ثم أعاد ص ٨٤٤ باقتضاب شديد ذكر وفاة الوليد فى سنة ٦٧هـ). ولاحظ أن :- الفاسى (العقد الثمين، جـ٧ ، ص ٤١١) وابن حجر (تهذيب التهذيب، طبعة دار الفكر ، جـ١١، ص ١٢٦) قد نقلا عن أحد الرواة – ويدعى أبا عروبة الحرانى – أن الوليد توفى فى خلافة معاوية بن أبى سفيان، دون تحديد لسنة معينة.

مرد. وإن كانوا كذبوا علىّ فاجعله كفارة لما لا يعلمون من ذنوبي"[١]. وكان قد استمر فى استقبال صديقه الشاعر أبى زبيد الطائى الذى تابع زياراته له فى ضيعته الخاصة بالرقة، يتبادل معه الشعر. وأكد البلاذرى فى فتوحه أن الوليد أعطى عين الرومية وماءها إقطاعاً لأبى زبيد حيث مات ودفن بها إلى جوار قبر الوليد. ولما مر الأمير الأموى مسلمة بن عبد الملك بموضع القبرين، وعلم لمن هما، قال:- "رحم الله أبا وهب، وأثنى عليه". وأثنى كذلك على أبى زبيد الطائى قائلاً:- وهذا فيرحمه الله .. إنه كان كريماً"[٢].

وقد ترك الوليد ذرية بعضها بالرقة وبعضها بالكوفة. منهم:- ابنه عمرو بن الوليد الشاعر المعروف بأبى قطيفة الذى جعله الأصفهانى فاتحة كتابه الأغانى، وأكد معيشته بالحجاز إلى أن أخرجه وجماعة الأمويين إلى الشام عبد الله بن الزبير أوائل ثورته. وأورد أبياتاً شعرية على لسانه إلى أبيه الوليد أثناء ولايته على الكوفة يشكو إليه شغفه بالجوارى وعدم قدرته على الاقتران بإحداهن وخشيته الافتتان بواحدة، مما يوجب عليه حد الزنا "فابتاع له جارية بالكوفة وبعث إليه بها"[٣]. وإذا كان أبو قطيفة يمثل المعيشة المترفة من شعر وشغف بالجوارى، فإن إخوته الآخرين يمثلون الطابع الجهادى لأبيهم، وهاهو أبان ابن الوليد يقود إحدى الصوائف العسكرية ضد البيزنطيين فى سنة ٧٥هـ (٦٩٤م) أثناء توليه إمارة أرمينية وحمص وقنسرين للخليفة الأموى عبد الملك بن مروان. وذلك قبل أن يفرد أرمينية فقط لأخيه الآخر عثمان بن الوليد بن عقبة. ومعلوم أن هذه المناطق كانت من الثغور الحربية المواجهة لمنطقة الحدود مع الدولة البيزنطية[٤]. أما أخوهم عمارة بن الوليد فقد كان صاحب إقطاع بمصر حدده ابن عبد الحكم بأنه كان

---

(١) ابن عساكر:- جـ٢٦، ص ٣٤٨.

(٢) نفسه، ص ٣٤٩. وانظر:- البلاذرى:- فتوح البلدان، جـ١، ص ١٨٥ (حيث يذكر أن عين الرومية صارت للخليفة العباسى أبى العباس السفاح ثم أقطعها لأحد رجال الدولة قبل أن يشتريها أخيراً الخليفة العباسى هارون الرشيد).

(٣) الأصفهانى:- كتاب الأغانى، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة سنة ١٩٥٢، جـ١، ص ١٢-٣٥ وبخاصة ص ٣١.

(٤) ابن السائب الكلبى:- جمهرة النسب، ص ٥٢-٥٣، ابن حزم:- جمهرة أنساب العرب، ص ١١٥. وانظر:- اليعقوبى:- جـ٢، ص ٢٨١.

يشمل "الدور التى تلى أصحاب التبن قبلياً"[١]. وكان خالد بن الوليد بن عقبة من علية القوم بالكوفة خلال العقد السابع من القرن الأول الهجرى، وعاش حياة اجتماعية صاخبة تنافس خلالها فى العديد من أوجه البر مع فتيان الكوفة، مثل ابن عمه عبد الله بن عمارة بن عقبة وعمران بن موسى ابن الصحابى الجليل طلحة بن عبيد الله وعبد الملك بن بشر بن مروان الذى كان أسخاهم استناداً لوجود أبيه بشر بن مروان فى ولاية الكوفة والبصرة خلال سنة ٧٤هـ (٦٩٣م) [٢]. ومن أحفاد الوليد بن عقبة:- محمد ذو الشامة ابن أبى قطيفة عمرو بن الوليد الذى تولى إمرة الكوفة من قبل الأمير مسلمة بن عبد الملك بعضاً من سنة ١٠٢هـ (٧٢٠م) [٣]. وأخوه عبد الله ابن عمرو بن الوليد الذى حزن كثيرا لزواج عبد الملك بن بشر بن مروان من محبوبته وابنة عمه أم سعيد بنت سعيد بن خالد بن عقبة، وأنشد أبياتاً شعرية فى فراقها. ولا يعنى هذا انغماسه فى الترف واللهو، بل كان أحد قادة الصوائف العسكرية ضد البيزنطيين[٤].

الخاتمة

هكذا طويت – بوفاته فى منفاه الاختيارى بالرقة – صفحة الوليد بن عقبة بن أبى معيط، وعلى غير المعهود. وحفظ عنه التاريخ أنه ابن ذاك المشرك الشديد العداء للإسلام ولرسول الله ﷺ، كأن القاعدة الشرعية "الإسلام يجُبُّ ما قبله" لا تنطبق على أمثاله. وحفظت كتب التفاسير القرآنية عنه أنه المعنى بتهمة الفسق فى الآيتين القرآنيتين الكريمتين رقم ٦ من سورة الحجرات ورقم ١٨ من سورة السجدة. رغم أنه لا علاقة له بسبب نزول هاتين الآيتين؛ إذ آية الحجرات نزلت عشية غزوة بنى المصطلق فى شعبان سنة ٥هـ أو ٦ هـ على أكثر تقدير، بينما أسلم الوليد بن عقبة سنة فتح مكة ٨ هـ. والآية الأخرى من سورة السجدة نزلت فى أبيه عقبة أو فى عموم أهل النار من الفاسقين، لصغر

---

(١) ابن عبد الحكم :- فتوح مصر وأخبارها، تحقيق وتقديم محمد الحجيرى، مطبوعات دار الفكر ببيروت، ط١ سنة ١٩٩٦، ص ٢٣٨.

(٢) البلاذرى:- أنساب، جـ٥، ص ١٨٠-١٨١.

(٣) ابن السائب:- جمهرة النسب، ص ٥٣؛ الطبرى:- جـ٦، ص ٦٠٤.

(٤) البلاذرى:- أنساب، جـ٥، ص ١٨٢؛ ابن حزم:- جمهرة أنساب العرب، ص ١١٥.

سن الوليد وقت نزولها بمكة، إن كانت الآية الكريمة نزلت بمكة، أما إذا كانت مدنية فمعلوم أن مسلمة فتح مكة أو الطلقاء – ومنهم الوليد – لم يسكنوا المدينة المنورة.

ولم يحفظ عنه التاريخ كذلك أنه كان عند ظن النبى محمد صلى الله عليه وسلم، بحسن أدائه لمهمة جمع صدقات عرب بنى المصطلق الخزاعيين بعد سنة ٨هـ، متعظاً بتحذير القرآن الكريم له ولغيره من تكرار حادثة الفسق الأليمة التى فعلها قبله أحد المسلمين. بينما حفظها عنه الخليفتان الراشدان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما. فانتدبه الأول لمهمة جمع الصدقات مثلما حدث معه فى العهد النبوى. ولهذا لم نجد له دوراً فى حروب الردة كقائد لأحد الألوية العسكرية أو حتى كجندى عادى، لتأخر دور جامعى الصدقات بعد تمام العمليات العسكرية. ثم نجده فى شهر صفر من سنة ١٢هـ يحضر إلى المدينة المنورة حاملاً خمس غنائم معركة المذار جنوب العراق، ورسالة من القائد خالد بن الوليد بتفاصيل العمليات العسكرية على جبهة الفرس. فأعاد الخليفة الصديق انتدابه لجمع صدقات عرب قضاعة بدومة الجندل على جبهة الشام، وكان خلالها قسيماً للصحابى الشهير عمرو بن العاص. ثم قائداً للواء فتح الأردن، فكان الوليد بن عقبة بذلك رابع أربعة حملوا اللواءات العسكرية الأربعة لفتح الشام. وذلك قبل أن تتعرض جبهته لكمين بيزنطى قتل خلاله ابن زميله ومرؤوسه خالد بن سعيد بن العاص، مما اضطر الخليفة الصديق لعزله عن قيادة لواء الأردن وجعلها للصحابى الجليل شرحبيل ابن حسنة.

ثم انتدبه الخليفة عمر بن الخطاب لمتابعة فتح الشام كآحاد الجنود، حتى اطمأن على حسن بلائه فى الجهاد أثناء المعارك الكبرى كأجنادين واليرموك وغيرها. وظهر دوره فى تأمين الخطوط الخلفية للجيوش الإسلامية فى فتح شمال الشام، فولاه على عرب الجزيرة خلال سنة ١٧هـ، ثم عزله رفقاً به وبرعايا الدولة من نصارى تغلب وإياد لسياسته المتشددة حيال أنفتهم من الخضوع للحكم الإسلامى.

وجاءت خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه، لتشهد متغيرات كثيرة جعلت من الوليد ابن عقبة ومن الخليفة عثمان نفسه ضحايا لها. ذلك أن قاعدة الحساب بين الحاكم والرعية قد تأثرت كثيراً باختلاف طريقة الخليفة عثمان فى الحكم من حيث انتهاجه نهجاً ليناً فى

التعامل مع الرعية عكس تشدد سلفه عمر بن الخطاب، فضلاً عن اتساع دائرة الإسلام لتشمل أناساً جدداً لم يكونوا بعد قد قبلوا الدين عن فهم وعمق. فأدى ذلك إلى أن أموراً طبيعية عدت أخطاء جسيمة وكانت الشغل الشاغل لطائفة معينة من أفراد المجتمع الإسلامى بحيث نجحوا من خلالها فى الطعن فى كفاءة الخليفة عثمان، وانتهى الأمر بمقتله شهيداً على أيديهم فيما عرف ببدايات الفتنة الكبرى.

ويكفى أن اعتماد الخليفتين الصديق وعمر بن الخطاب على الوليد بن عقبة فى المهام السابقة لم يثر مثل هذا الكم من الاتهامات عندما اختاره الخليفة عثمان ليتولى إمرة الكوفة ابتداءً من سنة ٢٥هـ. وقد تمت مناقشة كل هذه الاتهامات وثبت عدم صحتها، وأن الخليفة عثمان اختاره لما يعرفه عنه من شدة وحزم إدارى وكفاية عسكرية لمواجهة تمرد أهل أذربيجان على الحكم الإسلامى ابتداء من سنة ٢٤هـ منتهزين وفاة الخليفة عمر بن الخطاب، وذلك لأن الكوفة مسئولة ثغرياً عن فتح وتأمين أقاليم الرى وأرمينية وأذربيجان. وكان الأولى أن يحتكم مثيرو هذه الاتهامات إلى الموضوعية فى حكمهم على صحة أو خطأ قرار تولية الوليد بن عقبة الكوفة، بالنظر فى سياسته فى إدارة شئون الإقليم وتقييمها بما تستحقه سلباً أو إيجاباً.

وعند استعراض سياسة الوليد فى حكم الكوفة، لوحظ استمرار شغب أهلها على جميع ولاتهم السابقين عليه أو التالين له، حتى إن الشرارة الأولى لأحداث الفتنة الكبرى المعروفة بحادثة النشاستج قد انطلقت من أرضها. وهى الظاهرة التى تم دراستها وأثرها على الحياة الأدبية والعقلية لأهل الكوفة وأسبابها التى منها تعالى أهل الكوفة على الدولة لدورهم الجهادى فى الفتوحات الإسلامية، وكذا تأجج الروح القبلية لديهم حيث برز خلالها ما للعصبية اليمنية من ثقل سواء من حيث ارتفاع الكثافة العددية لمقاتليهم أو سكناهم أجود أراضى الكوفة المجاورة للضفة اليسرى لنهر الفرات. وهو أمر كان يدريه جيداً الوليد بن عقبة الذى حرص على الاستفادة بجهودهم فى ميدان الجهاد العسكرى، استثماراً لدور الكوفة الثغرى ومرابطة أربعين ألف جندى على أرضها يخرجون مناوبة بواقع عشرة آلاف جندى كل عام ثم يعودون ليخرج مثلهم فى العام القادم "فكان الرجل يصيبه فى كل أربع سنين غزوة".فكان الوليد يغزو فى كل عام ثغر الكوفة الأيسر حيث

يسير شمالاً بغرب إلى غربى بحر قزوين، وانتهى فى فتوحه إلى باب الأبواب أو الدربند من الأقاليم الرئيسية بأرمينية الكبرى. ويغزو الصحابى الجليل حذيفة بن اليمان أمامه فى ثغر الكوفة الأيمن يعنى شمالاً بشرق حيث إقليم الرى. ناهيك عن مغانم الفتوح التى كان يصيبها رجاله وتوزع على أهالى الكوفة.

وعن أعماله الإدارية، فقد استهلها الوليد بفتح قصر الإمارة أمام جميع أهل الكوفة لعرض أمورهم متى شاءوا، واستمر على ذلك "فلم يتخذ لداره باباً حتى خرج من الكوفة". ورغم ذلك فقد وصل لسمعه الطريقة التى عبر بها خاصة أهل الكوفة من زعماء العشائر عند توليته عليهم بقولهم:- "بئسما ابتدلنا به عثمان. عزل أبا إسحاق (سعد ابن أبى وقاص) الهين اللين الحبر صاحب رسول الله ﷺ، وولى أخاه الفاسق الفاجر الأحمق الماجن". فلم يعتد بهذا القول، واعتبره تنفيساً عن مكنون صدور بعض الخاصة من زعماء اليمنية الذين أحفظهم استئثار قريش بمنصب الولاية فى الكوفة. وجعل نصب عينيه تذويب هذه النعرة القبلية بتقوية قبضة الدولة على مجريات الأمور أو ما يمكن تسميته بمزيد من الاتجاه نحو المركزية، مثلما فعل فى حق ضيافة الغرباء والطارئين على إقليم الكوفة الذى جعله الوليد موكولاً للدولة وحدها وذلك بإنشاء العديد من دور الضيافة الحكومية مثل دار الضيفان. وهو أمر أحفظ هؤلاء الخاصة، لحرمانهم من المكاسب المادية والمعنوية التى كانت تعود عليهم من مبيعات الميرة المقدمة لأولئك الضيوف عند حلهم وترحالهم.

كذلك أحفظ هؤلاء الخاصة حزمه الشديد تجاه الجرائم المرتكبة من ذويهم، مثلما فعل مع ثلاثة من أبنائهم قتلوا جارهم المعروف بابن الحيسمان الخزاعى وقبض الجيران عليهم وشهد الشهود بذلك، فأقام الحد عليهم قصاصاً. ولكن آباءهم أقسموا على الانتقام من الوليد، وأصبحوا منذ ذلك الحين وقود حركة المعارضة التى ضمت كذلك أشخاصاً آخرين مثل كعب بن ذى الحبكة النهدى الذى مارس السحر وقراءة الطالع ورفض محاولات استتابته. فنفاه الوليد بأمر الخليفة عثمان إلى جبل دنباوند المعروف بأرض السحرة. ومثل عمير بن ضابئ البرجمى الذى أوتره موت أبيه فى سجن الكوفة بأمر الوليد عقاباً له لسرقته كلب صيد ثمين من جيرانه وشتمه لهم بأفظع الألفاظ.

وكان من الطبيعى ألا يتقبلوا سياسة الوليد الاجتماعية لأنه اختص بأعطياته طبقة العامة من أهل الكوفة مثل الإماء والولائد والموالى، رغم أنه لم يبخل على أحد بشىء حتى فى غير حالات الضرورة الشخصية. مثلما فعل مع الشاعر لبيد بن ربيعة الذى عجز أخيراً عن الوفاء بعهد كان قد قطعه على نفسه منذ سنوات طويلة بالإنفاق على المعوزين أثناء موجات الجفاف والأزمات الطبيعية التى كانت تشهدها منطقة الكوفة. وقد أعطاه الوليد من ماله الخاص وليس من ديوان العطاء بالكوفة، كما أنه خاطب القادرين من على منبر المسجد الجامع بالكوفة أن "أعينوا أخاكم". بمعنى أنه لجأ لأسلوب التكافل الاجتماعى لعلاج مثل هذه الأزمات.

ومما يدعو للدهشة، أن تعد إجراءات الوليد السابقة من جملة أخطائه، ليس فقط من خصوم الوليد (ممن هو "موتور فى نفسه" و "نفر ممن قد عزل الوليد عن الأعمال")، بل أيضاً من بعض قدامى المؤرخين ومُحْدَثيهم. مثلما قيل عن الإجراء المتخذ فى مسألة حق الضيافة إنه تعبير عن اعتداد الوليد بقريشيته وبمكانته من الخليفة عثمان ورغبته فى منافسة زعماء العشائر اليمنية الفخر والعز. وبعبارة أخرى، إن الوليد كان يحمل فى طياته عصبية القبيلة وأرستقراطية الفاتح المنتصر "بل الحاكم المغرور". وهى مقولة لم نعتد بها، لأنها تعنى اتهام الوليد بن عقبة – ومن ورائه الخليفة عثمان – بالتناقض؛ إذ كيف يعتمد على العصبية اليمنية ذات الشوكة فى عمليات الجهاد العسكرى التى استغرقت فترة ولايته كلها، ثم هو يستفز زعماءهم على هذا النحو!!!؟

أما أعطياته للعوام، فقد اعتبرت ميلاً منه تجاههم بهدف اتخاذهم سلاحاً للدولة المعتدة دائماً بأرستقراطيتها القريشية كى تستخدمه فى الوقت المناسب ضد طبقة الخاصة من زعماء العشائر الأخرى وبخاصة اليمنية.

وقيل عن صداقته للشاعر أبى زبيد حرملة بن المنذر الطائى واستضافته بقصر الإمارة إنها بسبب رقة دين الاثنين، وإن اجتماعهما كان دائماً على سكر ومجون. وخاض المؤرخون قدامى ومُحْدَثون فى هذا الأمر بشكل بدوا معه أنهم يلتمسون العذر لخصوم الوليد فيما فعلوه بعد ذلك من تلصص على الشئون الخاصة للوليد ومغالاة فى اتهامه. رغم أن العكس هو الصحيح؛ إذ كانت هذه العلاقة دليلاً على نجاح الوليد فى عمله على صدقات

عرب الجزيرة من قبل الخليفة عمر بن الخطاب. فقد انتصر لأبى زبيد فى قضية ضد أخواله من عرب تغلب، فشكرها له أبو زبيد ووطد علاقته به وأكثر من التردد عليه بقصر الإمارة بالجزيرة ثم بالمدينة المنورة وأخيراً بالكوفة. حيث كان يجمع بينهما حب الشعر ونظمه. ويكفى أن هذه المعاملة الكريمة قد أسفرت عن اعتناق أبى زبيد للإسلام بعد أن كان نصرانياً.

وهكذا استمرت الأحداث ما بين خصوم يتربصون بالوليد، ومؤرخين يلتمسون لهم الأعذار. ولهذا لم يكن غريباً أن نرصد مواقف حادة أخذت فى التصاعد حتى بلغت ذروتها بنجاحهم فى عزله عن ولاية الكوفة على نحو مهين. ومما ساعد على غليان الأحداث، تلك القسمات المشتركة التى بدأت تتضح بين جماعة المعارضة الطاعنين فى حكم الوليد بالكوفة وجماعة السبئية الطاعنين فى كفاءة الخليفة عثمان وولاته فى الأقاليم. وقد لوحظ هذا التشابه العجيب بأوجهه الست من خلال نص فريد حفظه لنا البلاذرى فى أنسابه عن الإخبارى الشيعى أبى مخنف لوط بن يحيى، وألحقناه كضميمة بآخر الدراسة.

وقد سارت سياسة المعارضين فى الإيقاع بالوليد بن عقبة فى أكثر من محور:- محاولة إثبات فشله فى الحكم لا سيما فى قضية تتعلق بأمر من أمور الشرع الإسلامى، والتجسس على حياته الخاصة التماساً لنقطة ضعف ينفذون منها إليه، والتقول عليه بما وسعهم من جهد وإذاعة ذلك بين أهل الكوفة ليعم السخط ضده، وأخيراً محاولة استقطاب بعض الصحابة الأجلاء المقيمين بالكوفة ضده.

وكانت قضية الساحر بطرونى – أو مطروى – هى الفرصة التى لاحت لهم كى يحققوا أغراضهم. وهى فى الأصل قضية عادية حكم فيها الوليد بإعدام الساحر لفتوى الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود عامل خراج الكوفة ومعلم أهلها الحلال والحرام، بعد أن أقره على جريمته فاعترف ولم يتب. وأراد الوليد أن يكون الحكم عاماً بين الناس، وحدد موعداً لذلك. ولكن جماعة المعارضة سارعت بالتدخل عندما قتل أحدهم – ويدعى جندب بن كعب الأزدى من أزد اليمن – الساحر بنفسه كى يظهر الوليد بمظهر المتقاعس عن تنفيذ حد من حدود الله. وأعطت جماعة المعارضة وكذا الروايات التاريخية

للعديد من قدامى المؤرخين ومُحْدَثيهم، بعداً درامياً لفعلة جندب، خاصة أن الوليد بن عقبة عمل بفتوى ابن مسعود بحبس القاتل جندب وأرسل يستفتى الخليفة عثمان فى أمره. وحرصوا كذلك على تصعيد الأمر، فرفضوا قرار الخليفة عثمان بتجديد حبس جندب فترة أخرى تعزيراً له، وتحذير أهل الكوفة من تكرار فعلته، بل أرسلوا وفداً إلى المدينة المنورة لطلب عزل الوليد بن عقبة عن ولاية الكوفة. ولكن الخليفة عثمان رفض طلبهم وأقام الحجة الشرعية على خطأ مسلكهم وأمرهم بالرجوع إلى الكوفة والتزام الطاعة. فرجعوا عاقدين العزم بطريقة محمومة على إنجاح مسعاهم حيث "لم يبق موتور فى نفسه إلا أتاهم. فاجتمعوا على رأى فأصدروه".

وكانت من ثم شهادة الزور التى نجحوا من خلالها فى إلصاق تهمة شرب الخمر بالوليد، تأسياً بما حدث فى حق الصحابى الجليل قدامة بن مظعون والى البحرين أيام الخليفة عمر بن الخطاب.

وبالنسبة لمحاولتهم استقطاب أحد الصحابة الأجلاء، فإن ذلك كان يسير وفق المخطط السبئى الذى اخترع أصحابه العديد من المواقف التصادمية بين كبار الصحابة وولاة الخليفةعثمان فى الأقاليم (عبد الله بن مسعود مع الوليد بن عقبة بالكوفة، وأبو ذر الغفارى وأبو الدرداء مع معاوية بن أبى سفيان والى الشام، وهكذا ...). وعلى حين فشلوا مع الصحابى الجليل حذيفة بن اليمان شريك الوليد فى فتوح الرى وأرمينية وأذربيجان انطلاقاً من أرض الكوفة، نجدهم يكثرون من ذكر اسم الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود عامل خراج الكوفة كحجر عثرة ضد الوليد وضد تستر الخليفة عثمان على أخطاء واليه. وقد تم تفنيد كل هذه المواقف التصادمية التى افترضوا وقوعها بين ابن مسعود والوليد، ولوحظ أن اسم ابن مسعود قد استغل بهذه الكثافة لاختلافه بشكل حاسم مع الخليفة عثمان فى قضية فقهية بحتة تعرف بحادثة نسخ المصحف الشريف، ولم يكن للوليد بن عقبة ولا لسياسته فى إدارة شئون الكوفة أية علاقة بالأمر.

ثم جاءت الحلقة الأخيرة عندما نجحوا فى إقامة الأركان القانونية لشهادة الزور ضد الوليد بن عقبة بأنه يشرب الخمر مطالبين بعزله وإقامة الحد عليه. وسبقوا ذلك بالتجسس على حياته الخاصة، بل اقتحموا عليه داره، مرة بشكل ظاهر وعلنى وأخرى

بشكل مستتر ضمن مجموعة من السامرين، حتى انتزعوا خاتم الإمارة من مخدعه وقدموه للخليفة عثمان كدليل مادى. بمعنى أن نقطة الضعف التى نفذوا منها إلى الوليد لم تكن فى أمر من أمور الحكم (سياسة أو اقتصاد أو إدارة ...إلخ)، بل فى طريقته فى تمضية أوقاته الخاصة فى منزله بعد ساعات العمل.

ولوحظ ذكاؤهم فى التخطيط لهذه الشهادة، فهم فى الكوفة يشنون حملة شعواء ضد الوليد أنه يجاهر بشرب الخمر بل يجعلونه يدخل المسجد الجامع بالكوفة للصلاة وهو سكران، ولا يدرى بمن شتمه أو عنفه، ثم يعود إلى منزله وهو يتمايل من شدة السكر ويتقيأ ما شربه عند دخوله مخدعه، أو يتقيأه فى المحراب، حسبما صرحوا بذلك بين أهل الكوفة ليستعدوهم ضده. بينما فى المدينة المنورة وأمام الخليفة عثمان، نراهم حذرين فى انتقاء ألفاظ الشهادة والتركيز على أن الوليد رؤى سكراناً يتقيأ الخمر، ولم يذكروا رؤيتهم له وهو يشربها، كما لم يذكروا تهمة صلاته وهو سكران. وعندما أبطأ الخليفة عثمان فى تنفيذ الحد على الوليد، بعد استدعائه من الكوفة وشهادتهم عليه أمامه، ريثما يدرس حال الشهود، نجدهم حذرين فى طلب التنفيذ عندما أوعز أعوانهم بالمدينة إلى أحد أقرباء الخليفة بفتح الموضوع معه ونصحوه بالتلطف فى الطلب، حسبما نفهم من رواية البخارى فى صحيحه عن هذا الجزء من القضية. وهو أمر انتهى فعلاً بأن أمر الخليفة عثمان علياً بن أبى طالب – امتداداً لاستشارته فى الأمر منذ بدايته – بأن يباشر تنفيذ الحد فى الوليد أو ينتدب من يراه مناسباً لذلك. وأسدل الستار على هذه الواقعة بجلد الوليد أربعين جلدة، وكان السوط ذا رأسين فعدها البعض ثمانين، وعزل الوليد بن عقبة عن ولاية الكوفة.

ورغم هذا، فإن شبهات كثيرة أثيرت حول المحاكمة بقصد اتهام الخليفة عثمان بالتحايل على الشهود لإرهابهم، وبالمماطلة والتسويف فى تنفيذ الحكم، وغير ذلك من اتهامات لتمييع موقف الخليفة عثمان وكذا الوليد بن عقبة أثناء محاكمته، مما ثبت بطلانه من خلال استعراض هذه الشبهات وتفنيدها جملة وتفصيلاً.

وكان لزاماً كذلك استعراض رد فعل الوليد إزاء تطور الأحداث على هذا النحو العجيب منذ اكتشافه سرقة خاتم الإمارة من مخدعه، وعند استدعائه إلى المدينة المنورة وسماعه شهادة الشهود ضده، ومحاولته الدفاع عن نفسه مؤكداً كذب الشهود وأنهم

أصحاب أغراض خبيثة، وأخيراً اعتزاله منذ ذلك الحين الحياة العامة فى منفاه الاختيارى بضيعته الخاصة بناحية الرقة، ولكن بعد مقولته الحكيمة لأخيه الخليفة عثمان بن عفان "أبصرتنى اليوم بشهادة قوم، ليقتلنك عاماً قابلاً". وذلك رداً على إصرار الخليفة عثمان على إقامة الحد رغم اقتناعه بكذب الشهود، قائلاً:- "نقيم الحدود، ويبوء شاهد الزور بالنار".

ملحق عن:-

وضوح الهوية السبئية على معتقدات وتحركات المعارضين للوليد بن عقبة وسياسته فى حكم الكوفة

وقال أبو مخنف فى إسناده:-

لما شاع فعل عثمان وسارت به الركبان، كان أول من دعا إلى خلعه والبيعة لعلى:- عمرو بن زرارة ابن قيس بن الحارث بن عمرو بن عداء النخعى، وكميل بن زياد بن نهيك بن هتيم النخعى ثم أحد بنى صهبان. فقام عمرو بن زرارة فقال:- أيها الناس، إن عثمان قد ترك الحق وهو يعرفه. وقد أغرى بصلحائكم، يولى عليهم شراركم .. فمضى خالد بن عرفطة بن أبرهة بن سنان العذرى – حليف بنى زهرة – إلى الوليد. فأخبره بقول عمرو بن زرارة واجتماع الناس إليه. فركب الوليد نحوهم. فقيل له:- الأمر أشد من ذلك، والقوم مجتمعون، فاتق الله ولا تسعّر الفتنة .. وقال له مالك بن الحارث الأشتر النخعى أنا أكفيك أمرهم.. فأتاهم، فكفهم وسكنهم وحذرهم الفتنة والفرقة، فانصرفوا.

وكتب الوليد إلى عثمان بما كان من ابن زرارة. فكتب إليه عثمان:- إن ابن زرارة أعرابى جلف، فسيره إلى الشام .. فسيره .. وشيعه الأشتر والأسود بن يزيد بن قيس، وعلقمة بن يزيد وهو عم الأسود، والأسود أكبر منه. فقال قيس بن فهدان بن سلمة من بنى البداء من كندة يومئذٍ:-

أقسم بالله رب البيت مجتهداً ... أرجو الثواب به سراً وعلانية
لأخلعن أبا وهب وصاحبه ... كهف الضلالة عثمان بن عفان

(عن البلاذرى :- أنساب الأشراف، جـ ٥ ، ص ٣٠).

* * *